حجة العارف

في اثبات العدل على المباين والمخالف



تصنيف

الإمام العالم الفقيه حمزة بن علي بن شعبة الحراني



حُجَّةُ الْعَارِفِ

فِي إِثْبَاتِ الْعَدْلِ

عَلَى الْمُبَايِنِ وَالْمُخَالِفِ

تَأْلِيف

حَمْزَةَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ شُعْبَةَ الْحَرَّانِيِّ

اعداد وتحقيق

كتيبة محمد بن نصير العقائدية

طبعة الكتيبة الاولى للكتاب

٢٦ ذي الحجة ١٤٤٦

٢٣ / ٦ / ٢٠٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ





مكتبة كتيبة
محمد بن نصير العقائدية

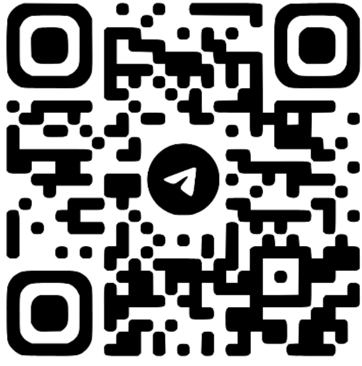
تنويه عام

النصوص والروايات الواردة عن موالينا جل جلالهم واصحابهم تمثل منهجنا ومصدر عقائدنا.
أما الآراء والتفسيرات الواردة في الكتب التي ننشرها فتعبر عن وجهة نظر المؤلف بالمقام الأول ولا تعكس بالضرورة موقف المكتبة الفكري والعقائدي، ولا تعني مخالفتنا لها أيضا.

ملاحظة

الكتب التي تنشرها المكتبة أما من تحقيق وإعداد مكتبة الكتيبة كاملاً. أو المكتبة تقوم بإعادة نشرها فقط بعد تعديلات بسيطة، وسيشار لهذا في مقدمة الكتب.

حقوق النشر



لتحميل باقي الكتب على حساب التليگرام

@ali_ali_ali110



زورونا على بقية مواقعنا



كتيبة محمد بن نصير العقائدية

اضغط هنا



كتيبة محمد بن نصير العقائدية

اضغط هنا



كتيبة محمد بن نصير العقائدية

اضغط هنا



كتيبة محمد بن نصير العقائدية

اضغط هنا



كتيبة محمد بن نصير العقائدية

اضغط هنا



الإِهْدَاءِ

إلى الأرواحِ التي ظمئتْ فلم تَرْوَ إلّا من ينابيعِ المعنى الصّافي

وإلى العقولِ التي ما قنعتْ بقشورِ الظواهرِ ولا برحيقٍ زائفٍ جافِ

بل غاصتْ في لُجِجِ الفكرِ، تبحثُ عن جواهرِ الحقِّ الخفّافِ

إلى طلابِ الحقيقةِ، من جعلوا السؤالَ محرابًا

والتأملَ سُلّمًا يُرتقى به إلى أبوابِ المعرفةِ والألبابا

وإلى المؤمنين

الذين ما ركنوا إلى تقليدِ آباءٍ أو سُكونِ يقين

بل ساروا بنورِ البصيرةِ، يهتدون بالفطرةِ، ويستنيرونَ بنورِ المتين

إليكم أهبُ هذا الكتابَ

قبسًا من فكرٍ طيّبٍ، ونبضًا من قلبٍ مُجاب

لعلّ فيه للباحثِ عونٌ، وللساعي سُلوانٌ

وللفؤادِ المُحبِّ بُرهانٌ واطمئنان

الفهرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ حُجَّةِ الْعَارِفِ فِي إِثْبَاتِ الْعَدْلِ عَلَى الْمُبَايِنِ وَالْمُخَالِفِ تَصْنِيفُ الْإِمَامِ الْعَالِمِ الْفَقِيهِ [حَمْزَةَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ شُعْبَةَ الْحَرَّانِيِّ].

وَهَذَا مَا نَسَخَهُ لِخَازِنِهِ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ أَعْلَى اللَّهُ دَرَجَاتِهِمَا، وَضَاعَفَ حَسَنَاتِهِمَا، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَإِنَّهُ مِنْ أَجَلِّ كُتُبِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَأَعْلَاهَا، لِاعْتِمَادِهِ عَلَى إِقَامَةِ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ فِي إِثْبَاتِ الْقُدْرَةِ وَنَفْيِ الصُّورَةِ.

٤٠٨هـتُوَافِقُ ١٠١٧ م

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الظَّاهِرِ لِلْوُجُودِ وَالْعَيَانِ، الْبَاطِنِ فِي غَيْرِ مَكَانٍ، كَوَّنَ الْمَكَانَ لِحَاجَةِ الْمَخْلُوقِينَ إِلَيْهِ، وَدَلَّهُمْ بِهِ عَلَيْهِ الَّذِي لَا تَحْوِيهِ خَطَرَاتُ الظُّنُونِ، وَلَا تَحُدُّهُ نَظَرَاتُ الْعُيُونِ، وَلَا تَحْصُرُهُ الْأَعْصَارُ[١] وَالْأَزْمِنَةُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَفْكَارُ وَالْأَمْكِنَةُ خَالِقُ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَمُوجِدُ الْمَاءِ الْمَعِينِ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[٢] مُنْشِئُ الْهَيُولَيَاتِ[٣] وَالصُّوَرِ، مُخْتَرِعُ الْجَوْهَرِ الْبَسِيطِ فِي الْفَلَكِ الْمُحِيطِ لَا لِحَاجَةٍ اخْتَرَعَهُ[٤] وَلَا لِعَبَثٍ ابْتَدَعَهُ، بَلِ الْخَلْقُ فِعْلُهُ، فَلَمْ يَزَلْ خَالِقًا، وَالنُّطْقُ دَلِيلُهُ، فَلَمْ يَزَلْ نَاطِقًا[٥] وَصَلَوَاتُهُ عَلَى نُورِهِ الْمُخْتَرَعِ، وَحِجَابِهِ الْمُبْتَدَعِ كَوَّنَهُ فَكَانَ مَكَانَهُ، وَأَقَامَهُ فَأَوْجَدَ عِيَانَهُ وَعَلَى بَابِهِ وَدَلِيلِ رُشْدِهِ وَسَبِيلِ قَصْدِهِ وَعَلَى أَيْتَامِهِ وَنُقَبَائِهِ وَنُجَبَائِهِ وَمُخْتَصِّيهِ وَمُخْلِصِيهِ وَمُمْتَحَنِيهِ وَعَلَى جَمِيعِ

---

[١] الْأَعْصُرُ
[٢] سورة الملك – الاية ٣٠
[٣] الْهَيُولَيَاتُ الْهَيُولَى: جَمْعُ هَيُولَيَاتٍ: الْمَادَّةُ الْأُولَى وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ هَيُولِيٌّ وَهَيُولَانِيٌّ
[٤] الْجَوْهَرُ: الْوَاحِدَةُ جَوْهَرَةٌ جَمْعُ جَوَاهِرَ: الْمَوْجُودُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ وَيُقَابِلُهُ الْعَرَضُ، وَالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ أَيْ لَا يَقْبَلُ الِانْقِسَامَ، وَالْجَوَاهِرُ الْعُلْوِيَّةُ: الْأَفْلَاكُ أَوِ الْكَوَاكِبُ أَوِ الْأَرْوَاحُ
[٥] فَلَنْ يَزَالَ نَاطِقًا

عَوَالِمِ قُدْسِهِ، وَمَحَلِّ ضِيَاءِ أُنْسِهِ وَالْلَاحِقِينَ بِهِمْ أَجْمَعِينَ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالدِّينِ[١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ عُلَمَاءَ أَصْحَابِنَا قَدْ سَطَرُوا فِي مُصَنَّفَاتِهِمُ الْأَخْبَارَ، وَاقْتَفَوْا مَا وَرَدَ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْآثَارِ، وَذَكَرُوا الِاسْمَ وَالْمُسَمَّى وَالْحِجَابَ وَالْمَعْنَى، وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَأَوَّلَ الْخَبَرَ عَلَى مَا يُوَافِقُ غَرَضَهُ وَيُحِيلُهُ عَنْ مَعْنَاهُ، وَأَهْمَلُوا الْبَحْثَ وَالنَّظَرَ وَالدَّلَالَةَ عَلَى الْخَبَرِ، وَتَرَكُوا الِاحْتِجَاجَ عَلَى الْمُخَالِفِينَ، وَارْتَكَبُوا التَّنْكِيتَ ﴿التَّنْكِيثَ﴾ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالطَّعْنِ، وَجَاهَرَ عُلَمَاؤُهُمْ بِاللَّعْنِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُهُمْ حُجَّةً عَقْلِيَّةً أَوْ لَفْظَةً فَلْسَفِيَّةً نَسَبُوهُ إِلَى الْإِلْحَادِ وَاعْتَقَدُوا بِهِ شَرَّ الِاعْتِقَادِ، لِأَنَّ أَفْهَامَهُمْ مُقْتَصِرَةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الْقَوَانِينِ الثَّلَاثَةِ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَافٍ بِالْعِلْمِ، فَهُمْ يُورِدُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الصَّادِقِينَ عَزَّ عِزُّهُمْ وَلَا يَعْلَمُونَ مَعْنَى مَا قَالُوا وَمَا أَرَادُوا بِهَا، لِأَنَّ الْمَقَامَاتِ حَمَّلَتْ كُلًّا بِحَسَبِ احْتِمَالِهِ، وَكُلٌّ كَلَامِهِمْ لَهُ مَعْنًى صَحِيحٌ.

[١] [الْيَتِيمُ الْمُفْرَدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، كُلُّ شَيْءٍ يَعِزُّ نَظِيرُهُ]
[النَّقِيبُ: جَمْعُ نُقَبَاءَ: شَاهِدُ الْقَوْمِ وَضَمِينُهُمْ وَعَرِيفُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَنْقُبُ عَنْ أُمُورِهِمْ]
[النَّجِيبُ: جَمْعُ أَنْجَابٍ وَنُجَبَاءَ وَنُجُبٍ، مُفْرَدُ نَجِيبٍ وَنَجِيبَةٍ جَمْعُ نَجَائِبَ: الْفَاضِلُ النَّفِيسُ فِي نَوْعِهِ]
[مُخْتَصٌّ: اخْتَصَّ بِالشَّيْءِ: انْفَرَدَ بِهِ].

وَلَعَمْرُ اللَّهِ إِنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ صَحِيحَةٌ وَجَمِيعَ الْأَخْبَارِ مَلِيحَةٌ وَلَكِنْ أَيْنَ الْبَحْثُ وَالنَّظَرُ، وَالْفَحْصُ عَلَى مَعْنَى الْخَبَرِ، وَكَشْفُ مَا خَفِيَ مِنْ مَعْنَاهُ، وَالْتِبَاسُهُ بِسِوَاهُ؟ وَأَيْنَ مَنْ يَسْأَلُ عَمَّا اشْتَكَلَ عَلَيْهِ؟

وَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ عَزَّ عِزُّهُ: "السُّؤَالُ مِفْتَاحُ الْمَقَالِ".

وَقَالَ عَزَّ عِزُّهُ: "نُصِبْنَا لَكُمْ لِتَسْأَلُونَا".

وَقَالَ عَزَّ عِزُّهُ: "رَحِمَ اللَّهُ الضُّعَفَاءَ مِنْ شِيعَتِنَا فَإِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّسْلِيمِ".

وَلَوْ كَانَ قَوْلُ الْأَئِمَّةِ يُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَيُؤْخَذُ بِالْقَبُولِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَشْهَدَ لَهُ حُجَّةُ عَقْلٍ، لَكَانَ ذَلِكَ (وَأَعُوذُ بِاللَّهِ) مُحَالًا.

وَإِنَّمَا بِالنَّظَرِ اسْتَدْلَلْنَا بِالظَّاهِرِ عَلَى الْبَاطِنِ، وَعَلِمْنَا مَا خَفِيَ مِنْ كَلَامِهِمْ عَزَّ عِزُّهُمْ لِأَنَّهُمْ حَمَّلُوا كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ احْتِمَالِهِ، وَكُلُّ مَا خَرَجَ عَنْهُمْ فَلَهُ مَعْنًى صَحِيحٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[١].

[١] سورة محمد – الاية ٢٤

فَحَثَّ بِهَذَا الْقَوْلِ عَلَى التَّدَبُّرِ وَالنَّظَرِ بِالْقِيَاسِ الصَّحِيحِ الَّذِي لَا يَشُوبُهُ الِاخْتِلَالُ، وَلَا يَعْتَرِيهِ الْمُحَالُ، وَنَبَّهَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَلَى ذَمِّ التَّقْلِيدِ وَالْإِضْرَابِ عَنِ التَّفْكِيرِ.

فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[١] فَدَلَّ عَلَى وُجُوبِ الْفَحْصِ وَالْبَحْثِ عَنِ الْأُصُولِ، وَالتَّسْلِيمِ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ فِي الْفُرُوعِ.

وَقَدْ وَجَدْتُ كُلَّ مِلَّةٍ احْتَجُّوا وَنَصَرُوا دِينَهُمْ بِحُجَجٍ مَلِيحَةٍ، وَبَرَاهِينَ صَرِيحَةٍ حَسَّنَهَا عَلَى الْمُبَايِنِ وَالْمُخَالِفِ.

وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ كِتَابًا مُخْتَصَرًا، وَأُوَضِّحَهُ حُجَجًا، وَبَرَاهِينَ وَدَلَائِلَ عَلَى إِثْبَاتِ الصَّانِعِ، وَالتَّوْحِيدِ، وَالْعَدْلِ، وَالظُّهُورِ، وَالِابْتِدَاءِ، وَالِانْتِهَاءِ، فَجَعَلْتُهُ أَبْوَابًا لِيَتَّضِحَ مَعْنَاهُ، وَيَتَبَيَّنَ فَحْوَاهُ وَذَكَرْتُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ حُجَجًا صَحِيحَةً، وَبَرَاهِينَ حَسَنَةً مَلِيحَةً، يَشْهَدُ لَهَا الْعَقْلُ، وَيَنْقَطِعُ دُونَهَا الْعُذْرُ، وَيَزُولُ بِهَا الشَّكُّ، وَيَقُومُ مَعَهَا الْحَقُّ، وَيُدْفَعُ بِهَا الْبَاطِلُ، وَأَيَّدْتُهَا بِالْكِتَابِ الْمَشْهُورِ وَالْخَبَرِ الْمَأْثُورِ، وَالْقَانُونِ

---

[١] سورة البقرة – الاية ١٧٠

الْمَسْطُورِ، وَفَسَّرْتُ مَا اشْتَكَلَ مَعْنَاهُ، وَالْتَبَسَ مِنْهُ بِسِوَاهُ، وَأَقَمْتُ الدَّلِيلَ عَلَى الْأُصُولِ وَسَلَّمْتُ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ فِي الْفُرُوعِ، لِتَتَأَكَّدَ الْحُجَّةُ، وَتَتَّضِحَ الْمَحَجَّةُ[1].

[1] الْمَحَجَّةُ: جَمْعُ مَحَاجَّ: جَادَّةُ الطَّرِيقِ أَيْ وَسَطُهُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُقْصَدُ

"الْبَابُ الْأَوَّلُ"

"فِي إِثْبَاتِ الصَّانِعِ وَالْحُجَّةِ عَلَى مَنْ دَفَعَ ذَلِكَ وَأَبْطَلَهُ"

فَنَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

إِنَّنَا لَمَّا رَأَيْنَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ عُنْصُرٍ وَجَوْهَرٍ، وَمُبْتَدَأٍ وَمُنْتَهَى، وَمُظْهِرٍ يُظْهِرُهَا، وَفَاعِلٍ يَفْعَلُهَا، عَلِمْنَا بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِكُلِّ صَنْعَةٍ مِنْ صَانِعٍ وَلِكُلِّ فِعْلٍ مِنْ فَاعِلٍ، عَلِمْنَا مَا وَجَدْنَا بِنَاءً إِلَّا وَلَهُ بَانٍ، وَلَا كِتَابَةً إِلَّا وَلَهَا كَاتِبٌ.

وَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْعَالَمِ مَصْنُوعٌ[١] عَلِمْنَا أَنَّ لَهُ صَانِعًا صَنَعَهُ فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ الْمَصْنُوعَاتِ هِيَ فِعْلُ الطَّبِيعَةِ، وَهِيَ قَدِيمَةٌ لَنَا، قُلْنَا لَكَ: هَذَا الْقَوْلُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

إِمَّا أَنْ نَقُولَ إِنَّهَا قَدِيمَةٌ لَا بَدْءَ لَهَا، وَهُوَ حَدُّ الْقِدَمِ.

وَإِمَّا أَنْ نَقُولَ: إِنَّهَا قَدِيمَةٌ لَهَا بَدْءٌ، فَقَدْ نَقَضْتَ قَوْلَكَ، وَنَفَيْتَ عَنْهَا الْقِدَمَ وَأَثْبَتَّ عَلَيْهَا صَنْعَةَ الْحَدَثِ، وَلَزِمَكَ أَنْ تُبَيِّنَ:

---

١ صَنْعَةٌ

هَلْ صَنَعَتْ نَفْسَهَا؟ أَمْ صَنَعَهَا غَيْرُهَا؟

وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ، لِأَنَّ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤَثِّرَ فِي ذَاتِهِ وَفِي غَيْرِهِ.

وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهَا قَدِيمَةٌ لَا بَدْءَ لَهَا، أَلْزَمْنَاكَ أَنْ تُبَيِّنَ: مَا مَعْنَى الطَّبِيعَةِ؟ وَلِمَ سُمِّيَتْ طَبِيعَةً؟ وَمَا الْمُرَادُ بِهَذَا الِاسْمِ الْمَوْضُوعِ لَهَا؟

"الطَّبِيعَةُ"

فَإِنْ قُلْتَ: مَعْنَى الطَّبِيعَةِ هَذِهِ الْعَنَاصِرُ الْأَرْبَعَةُ: [النَّارُ، الْمَاءُ، الْهَوَاءُ، التُّرَابُ] وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ طَبِيعَةً لِأَنَّهَا تَطْبَعُ الصُّوَرَ بِاتِّفَاقٍ مِنْ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ، وَتُظْهِرُهَا مِنَ الْهَيُولَى إِلَى الصُّورَةِ، وَهَذَا الِاسْمُ مَأْخُوذٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مِنْ قَوْلِهِمْ: [طَبَعْتُ السَّيْفَ] أَيْ أَظْهَرْتُهُ مِنْ هَيُولَاهُ الَّتِي هِيَ الْحَدِيدُ إِلَى صُورَةِ السَّيْفِ.

وَإِذَا قُلْتَ: إِنَّ الطَّبِيعَةَ بِاتِّفَاقٍ مِنْ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ تُخْرِجُ الْمُرَكَّبَاتِ فَنَحْنُ نُلْزِمُكَ أَنْ تُبَيِّنَ لَنَا مَنْ وَفَّقَ بَيْنَهَا هَذَا الِاتِّفَاقَ، وَمَنْ أَنَّهُ إِنْ تَأَخَّرَ أَحَدُهُمَا لَمْ يَتِمَّ لِلثَّلَاثَةِ الْبَاقِينَ فِعْلٌ.

وَإِنْ قُلْتَ: الطَّبِيعَةُ هِيَ الَّتِي وَفَّقَتْهُ، قُلْنَا لَكَ بِعِلْمٍ مِنْهَا أَمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ؟

فَإِنْ قُلْتَ بِعِلْمٍ مِنْهَا أَلْزَمْنَاكَ إِقَامَةَ الدَّلِيلِ وَلَمْ تُطِقْ ذَلِكَ[١] لِأَنَّنَا كُلَّ عُنْصُرٍ مِنْ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا وَلَا يُحِسُّ بِشَيْءٍ.

وَإِنْ قُلْتَ: "إِنَّهَا تَفْعَلُ ذَلِكَ بِجَهْلٍ مِنْهَا لَا بِعِلْمٍ" فَلَا يَكُونُ الِاتِّفَاقُ مِنْ مُوَفِّقٍ عَالِمٍ بِمَا يُوَفِّقُ، فَإِذَا أَقْرَرْتَ بِالْمُوَفِّقِ بَيْنَ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ، فَقَدْ لَزِمَكَ إِثْبَاتُ الصَّانِعِ الَّذِي وَفَّقَ بَيْنَهَا، فَتَصِيرُ [مُحْدَثَةٌ] الْمُرَكَّبَاتُ قَدِيمَةً لَهَا، مُحْدَثَةً عِنْدَ الْمُوَفِّقِ وَهَذَا مِمَّا لَا يُدْفَعُ.

فَإِنْ عَارَضْتَ قَوْلَنَا: "لَا بُدَّ لِكُلِّ صَنْعَةٍ [مَصْنُوعٍ] مِنْ صَانِعٍ، وَدَلَالَتُنَا أَنَّنَا مَا وَجَدْنَا بِنَاءً إِلَّا وَلَهُ بَانٍ، وَلَا كِتَابَةً إِلَّا وَلَهَا كَاتِبٌ" وَقُلْتَ: يَجِبُ بِحَسَبِ هَذَا التَّسَلْسُلِ أَنْ يَكُونَ لِذَلِكَ الصَّانِعِ صَانِعٌ وَلِهَذَا الصَّانِعِ صَانِعٌ ...وَإِلَخْ.

الْجَوَابُ: إِنَّ جَمِيعَ مَا تَحْتَ فَلَكِ الْقَمَرِ مَصْنُوعٌ وَمُرَكَّبٌ، لِأَنَّهَا أَجْسَامٌ تَظْهَرُ بِإِرَادَةِ الِاسْتِطَاعَةِ.

وَالِاسْتِطَاعَةُ مَادَّتُهَا مِنَ الْأَغْذِيَةِ وَالْأَغْذِيَةُ وُجُودُهَا مِنَ الطَّبِيعَةِ، فَجَمِيعُ الْمُرَكَّبَاتِ شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الطَّبِيعَةِ فَيَنْتَهِي الْقَوْلُ أَنَّ الطَّبِيعَةَ

---

١ وَلَنْ تُطِيقَ ذَلِكَ

مُحْدِثَةٌ لِهَذِهِ الْمُرَكَّبَاتِ وَقَدِيمُهَا، وَنِهَايَةٌ لَهَا، وَأَنَّهَا مُحْدَثَةٌ عِنْدَ الْمُوفِّقِ لَهَا، وَهُوَ نِهَايَةُ الطَّبِيعَةِ.

وَأَمَّا مَا فَوْقَ فَلَكِ الْقَمَرِ مِنَ الْأَجْرَامِ فَلَيْسَ مِنْ فِعْلِ الطَّبِيعَةِ فَلَيْسَتْ تَتَحَلَّلُ وَالطَّبِيعَةُ أَصْلُ الْمُرَكَّبَاتِ تَتَرَكَّبُ مِنْهَا، وَتَتَحَلَّلُ إِلَيْهَا أَبَدًا، وَهُوَ [وَهِيَ] لَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا فَسَادٌ، وَلَا عَلَى الْأَجْرَامِ الْعُلْوِيَّةِ لِأَنَّهَا مِنْ فِعْلِ الْحَكِيمِ.

وَأَقُولُ أَيْضًا: إِنَّ الْأَرْوَاحَ الَّتِي تُدَبِّرُ [تُدِيرُ] أَجْسَامَ الْحَيَوَانِ بَسِيطَةٌ لَا مُرَكَّبَةٌ وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْأَجْسَامَ آلَةٌ لَهَا تَتَّحِدُ بِهَا اتِّحَادَ مُمَازَجَةٍ كَمَا تَتَّحِدُ النَّارُ بِالْفَتِيلَةِ، فَكَمَا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ وُجُودُ النَّارِ إِلَّا فِي جِسْمٍ تَتَعَلَّقُ بِهِ لِأَنَّهَا بَسِيطَةٌ فَكَذَلِكَ الرُّوحُ لَا تُرَى إِلَّا فِي جِسْمٍ، وَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ جِسْمٍ بِقَسَمِ الضَّرُورَةِ.

وَقَدْ قَالَ أَرِسْطَالِيسُ: "إِنَّهَا تَمَامُ الْجِرْمِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي حَيَاتُهُ بِالْقُوَّةِ".

وَذَكَرَ أَنَّهُ ذُو آلَةٍ بِيَدَيْنِ، وَرِجْلَيْنِ، وَعَيْنَيْنِ، كُلُّ ذَلِكَ آلَةٌ لِلرُّوحِ الَّتِي تُحَرِّكُ [تُحَرِّكُهُ] جَمِيعَهُ، وَنَحْنُ نَسْتَوْفِي ذَلِكَ فِي بَابِ الدَّلَالَةِ عَلَى التَّنَاسُخِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ نَرْجِعُ الْحَدِيثَ إِلَى الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ مِنْ أَنَّ لِلصَّانِعِ صَانِعًا، وَقَدْ سَلْسَلْتُ لَكَ الْمُرَكَّبَ مِنْ مُرَكَّبٍ إِلَى أَنْ انْتَهَى الْقَوْلُ إِلَى الطَّبِيعَةِ، وَقَرَّرْتُ أَنَّ لِلطَّبِيعَةِ مُحْدِثًا هُوَ قَدِيمٌ لِكُلِّ قَدِيمٍ.

وَقَدِ اسْتَدْلَلْنَا عَلَيْهِ بِأَفْعَالِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ نُلَامِسَهُ بِحَاسَّةٍ وَلَوْ أَطْلَقْنَا الْقَوْلَ أَنَّ لِلصَّانِعِ صَانِعًا، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ لِذَلِكَ الصَّانِعِ صَانِعٌ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ، وَذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ وَفَاسِدٌ.

وَنَحْنُ نُفَسِّرُ قَوْلَنَا وَنَجْعَلُ لَهُ مَثَلًا فَنَقُولُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ يَظْهَرُ مِنَ الْإِنْسَانِ بِإِرَادَةٍ وَاسْتِطَاعَةٍ.

وَالِاسْتِطَاعَةُ مَادَّتُهَا مِنَ الْأَغْذِيَةِ، وَالْأَغْذِيَةُ وُجُودُهَا مِنَ الطَّبِيعَةِ فَقَدْ جَعَلْتُ الطَّبِيعَةَ بِهَذَا الْقَوْلِ أَصْلَ الْمُرَكَّبَاتِ، وَدَلَّلْنَا فِي مَا تَقَدَّمَ أَنَّ لَهَا مُحْدِثًا يُسْتَدَلُّ بِأَفْعَالِهِ عَلَيْهِ، وَلَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَفْعَالِهِ.

وَنَقُولُ: إِنَّ الطَّبِيعَةَ مِنْ فِعْلِ الْبَارِئِ بِلَا كَيْفِيَّةٍ وَلَا كَمِّيَّةٍ وَلَا عُنْصُرِيَّةٍ وَلَا جَوْهَرِيَّةٍ، اسْتَدْلَلْنَا بِهَا عَلَيْهِ.

وَلَا يُقَالُ: لِمَ؟ وَهُوَ يُدْرَكُ بِحَاسَّةٍ، بَلْ نَقُولُ: إِنَّهُ مُحْدِثُهَا، وَهُوَ قَدِيمٌ لَا بَدْءَ لَهُ.

فَهَذَا قَوْلٌ مُخْتَصَرٌ وَالْعِلْمُ وَاسِعٌ وَالْعُمْرُ قَصِيرٌ وَالْأَهْوَاءُ مُتَبَايِنَةٌ.

وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِطَرِيقِ الرُّشْدِ.

"الْبَابُ الثَّانِي"

"فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ"

اعْلَمْ أَنَّنَا نَظَرْنَا إِلَى الْعَدَدِ فَوَجَدْنَاهُ لَا يَنْفَكُّ عَنِ الزَّوْجِ وَالْفَرْدِ، وَلَا يَخْلُو اعْتِقَادُ مَنْ يُضَادِدُنَا وَيُطَالِبُنَا بِالْوِلَايَةِ، مِنْ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ اثْنَيْنِ، أَوْ جَمَاعَةً، وَلَا يُوجَدُ قِسْمٌ ثَالِثٌ فِي الْعَدَدِ بَعْدَ الْوَاحِدِ غَيْرَهُمَا [غَيْرِهَا] فَنَقُولُ، وَنُقَرِّرُ بِهَذَا أَصْلًا نَبْنِي عَلَيْهِ الْفَرْعَ إِذْ كَانَ حَدُّ الْجِدَالِ إِثْبَاتَ الْحُجَّةِ عَلَى الْخَصْمِ مِنْ حَيْثُ يَقْدِرُ أَوْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْفَعَ:

لَيْسَ بَعْدَ الْوَاحِدِ قِسْمَانِ:

إِمَّا أَنْ يَكُونَ اثْنَيْنِ، أَوْ جَمَاعَةً.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُمَا اثْنَانِ.

قُلْنَا لَكَ: عَاجِزَانِ أَمْ قَادِرَانِ؟

فَإِنْ قُلْتَ: عَاجِزَانِ.

قُلْنَا لَكَ: هَلْ يَقْدِرُ أَحَدُهُمَا أَنْ يَمْنَعَ صَاحِبَهُ عَنْ مُرَادِهِ؟

فَإِنْ أَثْبَتَّ أَنَّ أَحَدَهُمَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَ صَاحِبَهُ عَنْ مُرَادِهِ فَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِمَا الْعَجْزُ وَإِنْ قُلْتَ: لَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَ صَاحِبَهُ عَنْ مُرَادِهِ؟ فَهُمَا عَاجِزَانِ مِنْ حَيْثُ قُلْتَ أَنَّهُمَا قَادِرَانِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَنَّ أَحَدَهُمَا يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِ صَاحِبِهِ، وَالْآخَرَ لَا يَقْدِرُ.
فَالْقَادِرُ هُوَ الرَّبُّ، وَالْعَاجِزُ هُوَ الْمَرْبُوبُ.
وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُمَا اصْطَلَحَا عَلَى الْأَفْعَالِ: وَاحِدٌ يُحْيِي، وَالْآخَرُ يُمِيتُ.

فَالِاصْطِلَاحُ وَالْمُسَالَمَةُ، لَا يَقَعَانِ إِلَّا بَعْدَ الِاخْتِلَافِ وَالْمُقَاوَمَةِ، فَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِمَا الْعَجْزُ مَعًا، إِذْ لَا يَقْدِرُ الْوَاحِدُ مِنْهُمَا عَلَى الْأَفْعَالِ كُلِّهِمَا وَمَنْ كَانَ عَاجِزًا فَلَيْسَ بِقَدِيمٍ.

وَكَذَلِكَ يَلْزَمُكَ إِنِ اعْتَقَدْتَ أَنَّهُمْ جَمَاعَةٌ مَا لَزِمَكَ فِي الِاثْنَيْنِ مِنَ الِاحْتِجَاجِ فَقَدْ ثَبَتَ وَصَحَّ أَنَّهُ وَاحِدٌ إِذْ لَمْ يَبْقَ قِسْمٌ غَيْرُهُ.

وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

"الْبَابُ الثَّالِثُ"

"فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الظُّهُورِ لِلْبَشَرِ كَالْبَشَرِ"

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْبَارِي، جِسْمٌ، عَرَضٌ، أَمْ جَوْهَرٌ، أَمْ جِنْسٌ؟

الْجَوَابُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: إِنَّمَا تُحَدُّ وَتُوصَفُ وَتُكَيَّفُ الْمُحْدَثَاتُ لِأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ مُحْدَثَةُ الْكِيَانِ، وَالْجَوْهَرِ، وَالْجِنْسِ.

وَأَمَّا الْبَارِي فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ، وَلَا مَحْدُودٍ، لِأَنَّهُ قَدِيمٌ.

وَهُوَ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ، وَلَا عَرَضٍ، وَلَا جِسْمٍ، وَلَا جِنْسٍ، بَلْ هُوَ مَوْجُودٌ بِدَلَالَةِ ظُهُورِهِ لِلْجِنْسِ كَالْجِنْسِ مِنْ غَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا إِدْرَاكٍ، بَلْ ظَهَرَ لِلْخَلْقِ كَالْخَلْقِ لِيَفْهَمُوا عَنْهُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَيُثْبِتُوا وُجُودَهُ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ مَجْهُولًا يُوشِكُ أَنْ لَا يَكُونَ شَيْئًا.

فَإِنْ قُلْتَ: كُلُّ مَوْجُودٍ يَحْصُرُهُ الْعِيَانُ، وَيُحِيطُ بِهِ الْهَوَاءُ، وَيَسْتَقِرُّ فِي مَكَانٍ وَيَنْطِقُ فِي زَمَانٍ، وَتَدْخُلُ عَلَيْهِ الْأَعْرَاضُ، وَتَحُدُّهُ الْجِهَاتُ السِّتُّ وَهِيَ: [فَوْقُ، تَحْتُ شِمَالٌ، يَمِينٌ، قُدَّامٌ، وَوَرَاءُ] وَهَذِهِ صِفَاتُ الْمُحْدَثِ، وَالْمُحْدَثُ لَا يُدْرِكُ الْقَدِيمَ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُدْرِكَ إِلَّا مِثْلَهُ.

نَقُولُ: إِنَّ الْقَدِيمَ مَا زَالَ عَنْ مَاهِيَّةِ الْكَمَالِ فِي ظُهُورِهِ لِلْبَشَرِ كَالْبَشَرِ، بَلْ أَظْهَرَ صُورَةً بِهَا عَلَامَةٌ لِلْوُجُودِ وَنَفْيًا لِلْعَدَمِ.

وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا أَظْهَرَهُ مِنَ الْقُدْرَةِ الَّتِي خَرَقَتِ الْعَادَةَ، فَلَيْسَ فِي اسْتِطَاعَةِ الْخَلْقِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهَا، وَمِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ أَظْهَرَ قُدْرَةً عَجَزَ الْمَخْلُوقُونَ عَنْهَا، فَتِلْكَ الْقُدْرَةُ دَلِيلَةٌ عَلَى أَنَّ مِنْ تِلْكَ الْقُدْرَةِ قُدْرَتَهُ، لَيْسَتْ تِلْكَ الصُّورَةُ صُورَتَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بَلْ هِيَ ظَاهِرَةٌ فِي أَعْيُنِ الْبَشَرِ كَالْبَشَرِ بِصُورَةِ الْإِنْسَانِ الْعَاجِزِ، فَعَلِمْنَا أَنَّ تِلْكَ الصُّورَةَ عَلَى غَيْرِ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِيبِ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَنَّ الْقَدِيمَ ظَهَرَ بِهَا لِيُثْبِتَ وُجُودَهُ، وَيَصِحَّ لِلْبَشَرِ ظُهُورُهُ، وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا غَيْرُ مَحْسُوسَةٍ وَلَا مُدْرَكَةٍ.

وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ ظَهَرَتْ مِنْهُ قُدْرَةٌ فَلَيْسَتْ لَهُ صُورَةٌ تَدْخُلُ تَحْتَ التَّحْدِيدِ، بَلْ أَظْهَرَهَا إِثْبَاتًا وَإِيجَادًا، وَحَقًّا وَيَقِينًا، وَعِيَانًا وَبَيَانًا، لَا كُلًّا وَلَا جَمْعًا، وَلَا إِحَاطَةً وَلَا حَصْرًا.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ لَمْ يُكَلِّمِ الْخَلْقَ بِالرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا هَيْئَةٌ وَلَا صُورَةٌ؟ نَقُولُ: إِنَّنَا نَرَى صُوَرًا كَثِيرَةً لَا بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ، وَهِيَ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا كَانَ الْجِنْسُ لَا يَفْهَمُ عَنْ جِنْسِهِ، فَكَيْفَ نَفْهَمُ عَنِ الْبَارِي أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِقُدْرَتِهِ؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّ الْقُدْرَةَ قَدِيمَةٌ، فَكَيْفَ يُفْهَمُ عَنْهَا الْمُحْدَثُ؟ وَالْحَالُ أَنَّ الْعَرَبِيَّ لَا يَفْهَمُ عَنِ الْعَجَمِيِّ، وَالزِّنْجِيَّ لَا يَفْهَمُ عَنِ الْخَزْرَجِيِّ لِتَبَايُنِ الِانْتِسَابِ [الْأَنْسَابِ] وَالْبِلَادِ، وَهُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ.

فَلَا بُدَّ إِذَن أَنْ يَظْهَرَ بِهَيْئَةٍ مِنْ جِنْسِ خَلْقِهِ حَتَّى يُكَلِّمَهُمْ فَيَفْهَمُوا عَنْهُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَإِذَا الْمُسْلِمُونَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ خَاطَبَ مُوسَى[1] مِنَ الشَّجَرَةِ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2] وَهِيَ ذَاتُ أَجْزَاءٍ مُؤَلَّفَةٍ لَا حَرَكَةَ فِيهَا وَلَا نُطْقَ.

فَمَا بَالُهُ لَا يُخَاطِبُهُمْ مِنَ الْبَشَرِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ، وَأَشْرَفُ مِنَ النَّبَاتِ وَالْجَمَادِ؟ فَإِذَا صَحَّ أَنَّهُ خَاطَبَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَمَا بَالُ الْحَيِّ النَّاطِقِ؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ:

---

١ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

٢ سورة القيامة – الاية ٢٢-٢٣

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١] وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الشَّرْعِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ نَاضِرَةً بِالضَّادِ مِنَ النَّضَارَةِ وَهِيَ مَاءُ الْوَجْهِ، وَنَاظِرَةً بِالظَّاءِ مِنَ النَّظَرِ وَأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُرَى بِنَظَرِ الْعَيْنِ.

وَالْأَشْعَرِيَّةُ تُجَادِلُهُمْ فِي هَذَا وَتُنَاظِرُهُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُ إِنَّ الرُّؤْيَةَ يَوْمَ الْمَعَادِ.

وَالْإِمَامِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ نَظَرُ الْقَلْبِ لَا نَظَرُ الْعَيْنِ وَهَذَا خِلَافُ الصَّوَابِ، لِأَنَّ النَّظَرَ لِلْعَيْنِ، وَالْفِكْرَ لِلْقَلْبِ، وَلَا يَكُونُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْتِعَارَةٌ لِأَنَّ الِاسْتِعَارَةَ فِي الشِّعْرِ وَالنَّظَرُ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى جِسْمٍ فِي رُؤْيَةِ الْعَيْنِ لِأَنَّ الْجِسْمَ آلَةٌ لِلظَّاهِرِ بِهِ.

وَإِذَا كَانَ النَّظَرُ مُمْكِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَا بَالُهُ لَا يَكُونُ مُمْكِنًا فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ، وَوَقْتٍ وَأَوَانٍ؟ وَمَا الْمَانِعُ فِي ذَلِكَ؟

إِنَّ مَنْ دَفَعَ ظُهُورَ الْقُدْرَةِ وَالْمُعْجِزِ فَقَدْ كَذَّبَ الْإِجْمَاعَ وَالنَّقْلَ وَمَنْ كَذَّبَ الْإِجْمَاعَ وَالنَّقْلَ فَهُوَ كَمَنْ جَحَدَ الْعِيَانَ، لِأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى قِسْمَيْنِ:

---

[١] سورة القيامة – الاية ٢٢-٢٣

مِنْهَا مُشَاهَدٌ، وَمِنْهَا غَائِبٌ وَقَعَ الِاتِّفَاقُ عَلَيْهِ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: فِي الدُّنْيَا بَلَدٌ يُقَالُ لَهُ جَابَرَصَا وَقَدْ وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى وُجُودِهِ وَإِنْ لَمْ نُشَاهِدْهُ بِالْعِيَانِ، وَإِنَّمَا صَحَّ عِنْدَنَا الْخَبَرُ.

وَمَنْ دَفَعَ ذَلِكَ، فَهُوَ كَمَنْ دَفَعَ أَنَّ الثَّلْجَ أَبْيَضُ وَالدَّمَ أَحْمَرُ وَقَدْ أَجْمَعَتْ ثَلَاثُ أُمَمٍ أَنَّ مُوسَى مَشَى عَلَى الْبَحْرِ، وَكَلَّمَهُ اللَّهُ، وَظَلَّلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْغَمَامَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى.

وَطَوَائِفُ تَقُولُ وَهُمُ الْيَهُودُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقًا فَخَاطَبَهُ مِنْهُ وَهَذَا صَحِيحٌ عَلَى خِلَافِ مَا يَظُنُّونَ، وَفِي التَّوْرَاةِ مَكْتُوبٌ: [وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى بِالْيَاءِ] وَتَفْسِيرُهُ مِنْ فَمٍ إِلَى فَمٍ، وَإِنَّ يُوشَعَ رَدَّ الشَّمْسَ، وَلَيْسَ بِاسْتِطَاعَةِ الْبَشَرِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ.

فَعَلِمْنَا أَنَّ تِلْكَ الصُّورَةَ عَلَى غَيْرِ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِيبِ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَنَّ الْقَدِيمَ يَظْهَرُ بِهَا لِيُثْبِتَ وُجُودَهُ، وَيَصِحَّ ظُهُورُهُ، وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا غَيْرُ مُدْرَكَةٍ، وَلَا مَحْسُوسَةٍ.

وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ أَظْهَرَ قُدْرَةً فَلَيْسَتْ لَهُ صُورَةٌ تَدْخُلُ تَحْتَ التَّحْدِيدِ، بَلْ يَظْهَرُ بِهَا إِيجَادًا وَإِثْبَاتًا، وَعِيَانًا وَيَقِينًا، لَا كُلًّا وَلَا جَمْعًا، وَلَا إِحَاطَةً وَلَا حَصْرًا.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ مُوسَى لَمْ يَدْعُ إِلَى نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا دَعَا النَّاسَ وَدَلَّهُمْ عَلَى غَيْرِهِ.

فَالْجَوَابُ: أَنْ نَقُولَ إِنَّهُ إِنَّمَا دَلَّ عَلَى الَّذِي يَظْهَرُ بِهِ فِي وَقْتِ إِظْهَارِ الْمُعْجِزِ الَّذِي يَعْجِزُ الْخَلْقُ عَنْهُ، وَإِذَا ظَهَرَتِ الْقُدْرَةُ بَطَلَتِ الصُّورَةُ الْبَشَرِيَّةُ.

وَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْعَجْزُ، وَالِاضْطِهَادُ، وَالْمَوْتُ، وَمَا يُشَاكِلُ ذَلِكَ، فَإِنَّمَا هُوَ وَاقِعٌ عَلَى الْحِجَابِ الْبَشَرِيِّ اللَّحْمِيِّ الدَّمَوِيِّ الَّذِي نَطَقَ مِنْهُ الْقَدِيمُ لِيَفْهَمُوا عَنْهُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.

وَالنَّصَارَى وَالْمُسْلِمُونَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ عِيسَى أَحْيَا الْمَوْتَى، وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَخَلَقَ مِنَ الطِّينِ طَيْرًا وَكَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ.

وَقَدْ أَجْمَعَتِ النَّصَارَى أَنَّ شَمْعُونَ أَحْيَا الْمَيْتَ، وَفَعَلَ مِثْلَ هَذِهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فَهَلْ فِي اسْتِطَاعَةِ بَشَرٍ أَنْ يُحْيِي بَشَرًا مِثْلَهُ؟ وَأَنَّ عِيسَى عِنْدَمَا أَبْرَأَ الْأَبْرَصَ الَّذِي كَانَ عَلَى بَابِ كَنِيسَةِ الْيَهُودِ.

قَالَ لَهُ: قُمْ!

فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَقُومُ وَلِيَ ثَمَانٍ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَأَنَا مُقْعَدٌ؟
فَقَالَ لَهُ: أَنَا أَبُو الْبَشَرِ، قُمْ.
فَقَامَ فَقَالَ لَهُ: احْمِلْ سَرِيرَكَ، فَحَمَلَهُ. فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: لَقَدْ حَلَلْتَ السَّبْتَ.
فَقَالَ: أَنَا رَبُّ السَّبْتِ!

أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِهِ "أَنَا أَبُو الْبَشَرِ" يَعْنِي: الْحِجَابَ الْبَشَرِيَّ.

وَقَوْلِهِ: "أَنَا رَبُّ السَّبْتِ" فَقَتَلَهُ الْيَهُودُ وَصَلَبُوهُ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ قَتْلٌ وَلَا صَلْبٌ وَإِنَّمَا ذَلِكَ وَاقِعٌ بِالْحِجَابِ الْبَشَرِيِّ اللَّحْمِيِّ الدَّمَوِيِّ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُ وَتَكْذِيبًا لَهُمْ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَهَلْ يَطْلُعُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا مَنْ نَزَلَ مِنْهَا؟

"الظُّهُورُ وَالنَّقْلُ"

وَنَحْنُ نُوَضِّحُ الظُّهُورَ وَالنَّقْلَ وَكَيْفَ هُوَ، وَمَا يَطَّرِدُ فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ فِي هَذَا الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

"مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ"

وَقَدْ أَجْمَعَ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْهَاشِمِيَّ لَمْ يُرَ لَهُ ظِلٌّ فِي الشَّمْسِ وَلَا فِي الْقَمَرِ نَجْوَى، وَأَنَّهُ فَلَقَ الْقَمَرَ، وَجَذَبَ إِلَيْهِ الشَّجَرَةَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقِرَّ بِهَا، وَكَلَّمَهُ الذِّئْبُ، وَالذِّرَاعُ الْمَسْمُومُ، وَرَمَى الْحَصَى يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[1].

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي ظَهَرَ وَرَمَى وَهُوَ صَاحِبُ الْقُدْرَةِ الْمُشَارُ إِلَيْهِ وَإِنَّ تِلْكَ الصُّورَةَ الْمُشَاهَدَةَ كَصُورَةِ الْإِنْسَانِ الْعَاجِزِ، وَهُوَ حِجَابٌ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْأَبْصَارُ لِيُثْبِتَ الْوُجُودَ وَيَدُلَّهُمْ عَلَيْهِ بِظُهُورِ الْقُدْرَةِ مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ الْمُعَايَنَةِ بِالْآلَةِ، وَالْحَرَكَةِ، وَالسُّكُونِ.

---

[1] سورة الانفال – الاية ١٧

"عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ"

وَقَدْ أَجْمَعَتِ الشِّيعَةُ عَلَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَحْيَا الْمَيْتَ وَرَدَّ الشَّمْسَ، وَأَنَّهَا قَدْ خَاطَبَتْهُ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ بِقَوْلِهَا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَوَّلُ، وَيَا آخِرُ يَا بَاطِنُ، يَا ظَاهِرُ، يَا مَنْ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

وَالْإِمَامِيَّةُ وَهُمْ طَائِفَةٌ طَبَقَتِ الْأَرْضَ شَرْقًا وَغَرْبًا يُقِرُّونَ بِهِ، وَيُجْمِعُونَ عَلَيْهِ وَيَجْمَعُونَ لَهُ تَفْسِيرًا.

وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهَا:
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَوَّلُ: أَيْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَلَمْ يَعْبُدِ الْأَوْثَانَ.
وَقَوْلُهَا يَا آخِرُ: أَيْ يَا آخِرَ الْأَوْصِيَاءِ لِآخِرِ الْأَنْبِيَاءِ.
وَقَوْلُهَا يَا بَاطِنُ: أَيْ يَا عَالِمَ عِلْمِ الْبَاطِنِ كُلِّهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ.
وَقَوْلُهَا يَا ظَاهِرُ: أَيْ يَا غَالِبًا عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَقَاتِلَهُمْ بِسَيْفِهِ.

وَقَوْلُهَا يَا مَنْ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ: أَيْ عَلِيمٌ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِمَا عَلِمَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ.

وَكَذَلِكَ يَقْرَؤُونَ [خُطْبَةَ الْكَشْفِ] الَّتِي قَالَ فِيهَا عَلَى الْمِنْبَرِ: "أَنَا رَفَعْتُ سَمَاءَهَا وَسَطَحْتُ أَرْضَهَا، وَأَرْسَيْتُ جِبَالَهَا، وَأَنَرْتُ شَمْسَهَا، وَأَطْلَعْتُ قَمَرَهَا، أَنَا قَرْنٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدٍ، أَنَا أُبْدِي وَأُعِيدُ" وَيُخْرِجُونَ لَهُ تَفْسِيرًا عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْتُ فِي مُخَاطَبَةِ الشَّمْسِ لَهُ، وَقَدْ تَرَكْتُهُ اخْتِصَارًا.

وَأَمَّا إِنْكَارُ الْجُمْهُورِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ الْأَخْبَارَ وَدَفْعُهُمْ إِيَّاهَا فَهُوَ كَدَفْعِ الْيَهُودِ مُعْجِزَ عِيسَى وَقَوْلِهِمْ إِنَّهُ مَا أَحْيَا مَيْتًا، وَلَا فَعَلَ شَيْئًا مِنْ كُلِّ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ.

وَكَمَا دَفَعَ النَّصَارَى مُعْجِزَ مُحَمَّدٍ، وَقَالُوا إِنَّهُ احْتَالَ عَلَى الْعَالَمِ وَغَيَّرَ الشَّرِيعَةَ وَلَمْ يَأْتِ بِمُعْجِزٍ، وَأَنَّهُ أَخَذَ النُّبُوَّةَ مِنْ بُحَيْرَةَ الرَّاهِبِ.

وَنَحْنُ نَدُلُّ عَلَى اخْتِلَافِ الشَّرَائِعِ فِي الظَّاهِرِ، وَاتِّفَاقِهَا فِي الْبَاطِنِ، فِي هَذَا الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَأَمَّا الْإِنْكَارُ فَلَيْسَ بِمَا يُدْفَعُ بِهِ الْحَقُّ إِذَا أُثْبِتَ أَنَّهُ حَقٌّ[١]

[١] [أَرَى أَنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ: فَأَمَّا الْإِنْكَارُ فَلَيْسَ يَدْفَعُ الْحَقَّ إِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ حَقٌّ].

وَقَدْ ثَبَتَ وَصَحَّ بِإِجْمَاعِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأُمَمِ أَنَّهَا شَاهَدَتْ مِنْ شَخْصٍ مُعَايَنٍ قُدْرَةً هُمْ أَعْجَزُ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهَا وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ، فَقَدْ ثَبَتَ مَا احْتُجَّ بِهِ لِإِثْبَاتِ الظُّهُورِ وَإِنَّمَا دَفَعَ أُولَئِكَ الظُّهُورَ فِي هَذِهِ لِتَكُونَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ تَنْفُونَ تِلْكَ الصُّورَةَ وَتَقُولُونَ إِنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لَهَا فِي الْبَشَرِيَّةِ وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا غَيْرُ مُدْرَكَةٍ، وَلَا مَحْسُوسَةٍ، وَقَدْ رُئِيَ آكِلًا شَارِبًا، وَلَهُ أَزْوَاجٌ فِي الْمَوْجُودَاتِ شَيْءٌ عَلَى حَالَةٍ مَا يُرَى عَلَيْهَا وَيُرَى بِخِلَافِ تِلْكَ الْحَالَةِ؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّا نَقُولُ: لَمَّا رَأَيْنَا مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ مَا خَرَجَ عَنِ اسْتِطَاعَةِ صُوَرِنَا، عَلِمْنَا أَنَّ مِنْ تِلْكَ قُدْرَتَهُ لَيْسَتْ تِلْكَ صُورَتَهُ، وَنَفَيْنَا عَنْهُ الْأَعْرَاضَ وَالْقَتْلَ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ كَانَتْ وَاقِعِيَّةً فِي نَظَرِ الْعَيْنِ، وَمَتَى نَفَيْنَا عَنْهُ الصُّورَةَ وَجَبَ أَنْ نَنْفِيَ عَنْهُ الْأَعْرَاضَ الدَّاخِلَةَ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لِتِلْكَ الصُّورَةِ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْمَسِيحِ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[١] وَقَدْ أَجْمَعَ الَّذِينَ رَأَوْهُ أَنَّ الَّذِي كَانَ عَلَى الْخَشَبَةِ هُوَ ذَلِكَ الَّذِي خَاطَبَهُمْ وَأَظْهَرَ لَهُمُ الْقُدْرَةَ وَالْمُعْجِزَ.

[١] سورة النساء – الاية ١٥٧

وَكَذَلِكَ رُسُلُ لُوطٍ حِينَ أَتَوْا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا وَوَضَعَهُ أَمَامَهُمْ وَهُمْ فِي صِفَةِ الْآدَمِيِّينَ، فَأَكَلُوا.

وَالْحَقِيقَةُ بِخِلَافِ ذَلِكَ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِمْ قَوْلِهِمْ لِلُوطٍ: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾[١] وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٢] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾[٣].

بِمَا تُبْصِرُونَ: الصُّورَةُ الْمَرْئِيَّةُ.

وَبِمَا لَا تُبْصِرُونَ: الْقَدِيمُ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ وَلَا يَقْضَبُ بِحَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى مَا شَرَحْنَاهُ.

وَنَحْنُ نَرَى فِي الْمَوْجُودَاتِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً بِخِلَافِ مَا هِيَ عَلَيْهِ: مِنْ ذَلِكَ السَّرَابُ الَّذِي نَرَاهُ فِي مُنْتَصَفِ النَّهَارِ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرِّ، فَلَا نَشُكُّ فِي أَنَّهُ مَاءٌ وَهُوَ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

---

[١] سورة هود – الاية ٨١
[٢] سورة الانعام – الاية ١١٠
[٣] سورة

وَنَنْظُرُ إِلَى الْجِبَالِ وَنَحْنُ فِي أَرْضٍ فَسِيحَةٍ فَنَرَى كَأَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَهِيَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَنَنْظُرُ إِلَى الْبَحْرِ فَنَرَى كَأَنَّ آخِرَ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ نَظَرُنَا مُلْتَصِقٌ بِالسَّمَاءِ، وَهُوَ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

وَفِي الْمَوْجُودَاتِ أَشْيَاءُ تُشَاهَدُ بِخِلَافِ مَا هِيَ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْقُدْرَةِ فَقَدْ تَقَرَّرَ الْكَلَامُ، وَتَثْبُتُ الْحُجَّةُ فِي صِحَّةِ مَا أَوْرَدْنَاهُ، وَنَحْنُ نُوَضِّحُ مَا وَرَدَ مِنَ الدَّلِيلِ فِي كِتَابِ الْأُسُوسِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَصْلٌ مِنْهُ جَوَابٌ لِلسَّائِلِ:

إِنْ كَانَ اللَّهُ مُمَازِجًا لِلْأَشْيَاءِ، فَهُوَ لَهَا شَبِيهٌ.

وَإِنْ كَانَ لَا مُبَايِنًا وَلَا مُمَازِجًا، فَهُوَ عَدَمٌ.

وَلَكِنِّي أَقُولُ: إِنَّهُ مُبَايِنٌ لَهَا فِي جَوْهَرِهَا، وَلَا مُبَايِنًا لَهَا مُضَادًّا.

وَأَقُولُ: إِنَّهُ خَارِجٌ عَنْهَا، وَلَا أُرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا، بَلْ أُرِيدُ أَنَّ جَوْهَرَهُ مُفَارِقٌ لِجَوْهَرِهَا وَإِنْ كَانَ مِنْهَا، وَلَا أَقُولُ جَوْهَرُهَا مُخْتَلِطٌ بِجَوْهَرِهِ، لِأَنَّهَا مُحْدَثَةٌ وَهُوَ قَدِيمٌ وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ وَهُوَ خَالِقٌ.

تَفْسِيرُ ذَلِكَ: إِنَّ قَوْلَهُ: [إِنْ كَانَ اللَّهُ مُمَازِجًا لِلْأَشْيَاءِ فَهُوَ لَهَا شَبِيهٌ] فَقَدْ نَفَى عَنْهُ الشَّبَهَ بِالْأَشْيَاءِ.

وَقَوْلُهُ: [وَإِنْ كَانَ مُبَايِنًا لَهَا، فَهُوَ لَهَا ضِدٌّ] أَرَادَ بِهِ إِثْبَاتَ الظُّهُورَيْنِ، الظُّهُورِ مِنْ غَيْرِ مُجَانَسَةٍ لَهَا فِي حَدَثِهَا، وَأَنَّهُ لَوْ بَايَنَهَا فِي الظُّهُورِ لَكَانَ ضِدَّهَا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ ضِدَّهُ.

وَقَوْلُهُ: [وَإِنْ كَانَ لَا مُبَايِنًا وَلَا مُمَازِجًا، فَهُوَ عَدَمٌ] لِأَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ إِلَّا الْعَدَمُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهَذِهِ الدَّلَالَةِ عَلَى الظُّهُورِ وَنَفْيِ الصِّفَةِ عَنْهُ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: [وَلَكِنِّي أَقُولُ إِنَّهُ مُبَايِنٌ لَهَا فِي جَوْهَرِهِ] يَعْنِي: أَنَّ جَوْهَرَ الْقِدَمِ مُبَايِنٌ لِجَوْهَرِ الْحَدَثِ.

وَقَوْلُهُ: [لَا مُبَايِنَ وَلَا مُضَادَّ]

يَعْنِي: لَيْسَ هُوَ ضِدَّهَا مِنْ جِهَةِ الظُّهُورِ، بَلْ يَظْهَرُ كَهِيَ.

وَقَوْلُهُ: [وَأَقُولُ: إِنَّهُ خَارِجٌ عَنْهَا لَا أُرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا] أَرَادَ بِهِ: الظُّهُورَ.

ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: [بَلْ أُرِيدُ أَنَّ جَوْهَرَهُ مُفَارِقٌ لِجَوْهَرِهَا] يَعْنِي: الْقِدَمَ.

وَقَوْلُهُ: [وَإِنْ كَانَ فِيهَا] أَرَادَ بِهِ الظُّهُورَ.

وَقَوْلُهُ: [وَلَا أَقُولُ: "إِنَّ جَوْهَرَهَا مُخْتَلِطٌ بِجَوْهَرِهِ لِأَنَّهَا مُحْدَثَةٌ وَهُوَ قَدِيمٌ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ وَهُوَ خَالِقٌ] نَفَى أَنْ يَكُونَ جَوْهَرُ الْقَدِيمِ مُخْتَلِطًا بِجَوْهَرِ الْحَدِيثِ اخْتِلَاطَ مُمَازَجَةٍ بَلْ مُبَاشَرَةً فَقَطْ لِيُثْبِتَ الْوُجُودَ، وَيَصِحَّ الْعِيَانُ وَالْقِدَمُ.

"اللَّهُ شَيْءٌ أَمْ جِسْمٌ؟"

ثُمَّ قَالَ السَّائِلُ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: [اللَّهُ شَيْءٌ أَمْ جِسْمٌ؟]

قَالَ الْعَالِمُ عَزَّ عِزُّهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَمَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ: "هُوَ جِسْمٌ".

ثُمَّ قَالَ الْعَالِمُ عَزَّ عِزُّهُ: "أَيُّهَا السَّائِلُ! إِنَّ الْجِسْمَ شَيْءٌ، وَالشَّيْءَ جِسْمٌ، فَلِذَلِكَ تَكَافَأَتِ الْأَسْمَاءُ وَالْحُجَجُ، وَلَوْ كَانَ الشَّيْءُ أَبْيَنَ مِنَ الْجِسْمِ لَظَهَرَتْ حُجَّتُكَ".

ثُمَّ قَالَ عَزَّ عِزُّهُ: "وَالشَّيْءُ يَدْخُلُ فِيهِ ضَعْفٌ مِنْ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: لِأَنَّهُ عَرَضٌ، وَالْعَرَضُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، وَحَرَكَةٌ، وَالْحَرَكَةُ لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا بَلْ تَقُومُ بِفَاعِلَيْهَا، وَهَكَذَا اللَّوْنُ وَالطَّعْمُ وَالرَّائِحَةُ.

وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، بَلْ يَقُومُ بِغَيْرِهِ.
وَالْجِسْمُ يَقُومُ بِنَفْسِهِ، وَتَحْتَاجُ هَذِهِ الْأَعْرَاضُ إِلَيْهِ.
وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا تَحْتَاجُ الْجِسْمَ، وَالْجِسْمُ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا.

وَالشَّيْءُ دَاخِلٌ فِي بَابِ الْجِسْمِ، وَلَيْسَ الْجِسْمُ دَاخِلًا فِي بَابِ الشَّيْءِ وَالصُّورَةُ أَقْوَى مِنَ الْجِسْمِ".

تَفْسِيرُ ذَلِكَ وَشَرْحُهُ:

قَوْلُ السَّائِلِ: [اللَّهُ شَيْءٌ أَمْ جِسْمٌ؟] هُوَ اسْتِفْهَامٌ عَنْ مَاهِيَّةٍ، وَلَا تَخْلُو جَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ مِنْ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ، إِلَّا أَنَّ الشَّيْءَ أَعَمُّ مِنَ الْجِسْمِ لِأَنَّهُ يَعُمُّ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ، وَالْجِسْمُ أَخَصُّ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَا يَعُمُّهَا، فَكُلُّ جِسْمٍ شَيْءٌ وَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ جِسْمًا.

وَقَوْلُهُ: الشَّيْءُ دَاخِلٌ فِي بَابِ الْجِسْمِ" فَإِنَّمَا عَنَى بِهِ الْأَعْرَاضَ الَّتِي تَكُونُ فِي الْجِسْمِ وَتَحْدُثُ مِنْهُ مِثْلَ: الْبَيَاضِ، وَالسَّوَادِ، وَالْحُمْرَةِ، وَالْحَرَكَةِ، وَالسُّكُونِ.

فَهَذَا كُلُّهُ يَقعُ عَلَيْهِ اسْمُ الشَّيْءِ وَهُوَ دَاخِلٌ فِي بَابِ الْجِسْمِ، وَالْجِسْمُ مَا كَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْعَادٍ وَهِيَ: طُولٌ، وَعَرْضٌ، وَعُمْقٌ.

وَقَوْلُ الْعَالِمِ عَزَّ عَزُّهُ: "هُوَ جِسْمٌ" لَا يُرِيدُ بِهِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَبْعَادِ الثَّلَاثَةِ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ التَّحْدِيدِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ أَنْ يُنَزِّهَهُ وَيُخْرِجَهُ عَنْ حَدِّ الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ أَنْكَرُ الْمُنْكَرَاتِ، وَأَنْ يَدُلَّ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَخَصُّ، لِأَنَّ الشَّيْءَ يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَحْسُوسٍ مِنْ [جَوْهَرٍ، وَحَدٍّ، وَعَرَضٍ، وَرَسْمٍ] وَأَنْ يَنْفِيَ عَنْهُ التَّحْدِيدَ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُحَدَّدٍ فَيُنَاسِبُ الْأَجْنَاسَ وَالْأَجْسَامَ [بِالطُّولِ، وَالْعَرْضِ، وَالْعُمْقِ] وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ إِثْبَاتَ الْجَوْهَرِ وَنَفْيَ الصِّفَةِ.

وَقَوْلُهُ: "اعْلَمْ أَيُّهَا السَّائِلُ أَنَّ الْجِسْمَ شَيْءٌ وَالشَّيْءَ جِسْمٌ وَلِذَلِكَ تَكَافَأَتِ الْأَسْمَاءُ وَالْحُجَجُ" فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ الْجِسْمَ شَيْءٌ وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ كُلَّ جِسْمٍ شَيْءٌ وَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ جِسْمًا كَمَا قَدَّمْنَا.

كُلُّ جِسْمٍ هُوَ شَيْءٌ: أَيْ أَنَّ أَيَّ جِسْمٍ، سَوَاءً كَانَ صُلْبًا أَوْ سَائِلًا أَوْ غَازِيًّا، هُوَ شَيْءٌ مَوْجُودٌ وَلَهُ خَصَائِصُ مَادِّيَّةٌ أَوْ مَحْسُوسَةٌ.

لَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ جِسْمًا: هُنَاكَ أَشْيَاءُ لَيْسَتْ أَجْسَامًا بِالْمَعْنَى الْفِيزْيَائِيِّ، مِثْلَ الْمَفَاهِيمِ الْمُجَرَّدَةِ [كَالْأَفْكَارِ وَالْمَشَاعِرِ وَالْقِيَمِ] وَالَّتِي تُعْتَبَرُ أَشْيَاءَ لَكِنَّهَا لَا تَتَّخِذُ شَكْلًا مَادِّيًا مَلْمُوسًا.

بِمَعْنًى آخَرَ، الشَّيْءُ هُوَ مَفْهُومٌ أَوْسَعُ يَشْمَلُ كُلَّ مَا يُمْكِنُ تَصَوُّرُهُ أَوْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ، بَيْنَمَا الْجِسْمُ هُوَ فِئَةٌ فَرْعِيَّةٌ ضِمْنَ الْأَشْيَاءِ، تَتَّصِفُ بِوُجُودٍ مَادِّيٍّ مُحَدَّدٍ.

وَقَوْلُهُ: [وَالشَّيْءُ جِسْمٌ] أَرَادَ بِهِ شَيْئًا بِعَيْنِهِ وَهُوَ الظُّهُورُ، وَهُوَ عَلَامَةُ الْوُجُودِ. وَقَدْ أَثْبَتَ الْ التَّعْرِيفِ وَالْعَهْدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُخَاطَبِهِ.

وَقَوْلُهُ: "جِسْمٌ" أَيْ فِي الْعِيَانِ، أَمَّا فِي الْحَقِيقِيِّ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لَهُ شَيْءٌ أَوْ جِسْمٌ، كُلُّ ذَلِكَ يَنْفِي عَنْهُ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَيُثْبِتُ الْوُجُودَ وَيَنْفِي الْعَدَمَ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا نَفَيْتَ عَنْهُ اسْمَ شَيْءٍ، وَجِسْمٍ، وَجَوْهَرٍ، وَعَرَضٍ.
فَقَدْ دَخَلَ فِي بَابِ الْعَدَمِ؟!

فَالْجَوَابُ: إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَا يَلْزَمُنَا، لِأَنَّنَا نَعْتَقِدُ فِي الصُّورَةِ أَنَّهَا دَلِيلُ الْوُجُودِ، وَنَنْفِي عَنْهَا الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَالْأَعْرَاضَ، وَنَسْتَدِلُّ بِالْقُدْرَةِ، وَهَذَا قَوْلٌ لَا تَلْزَمُنَا فِيهِ

حُجَّةٌ: وَالْشَّيْءُ هُوَ [الْمِثَالُ] وَالْجِسْمُ هُوَ [الصُّورَةُ] إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ: [وَتَكَافَأَتِ الْأَسْمَاءُ وَالْحُجَجُ] فَالْأَسْمَاءُ هِيَ الْأَمْثِلَةُ، وَالْحُجَجُ هِيَ الصُّوَرُ.

ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "وَلَوْ كَانَ الشَّيْءُ أَبْيَنَ مِنَ الْجِسْمِ لَظَهَرَتْ حُجَّتُكَ".

وَقَوْلُهُ: "وَالشَّيْءُ فِيهِ ضَعْفٌ مِنْ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ لِأَنَّهُ عَرَضٌ وَالْعَرَضُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ ...الْخَ" أَرَادَ بِهَا كُلَّهَا الْعَرَضَ، وَالْمِثَالُ هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ بِهِ الْمَوْتُ وَذَلِكَ عَرَضٌ فِي أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ [أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاطِقَ هُوَ الْجِسْمُ، وَالصَّامِتَ هُوَ الشَّيْءُ].

فَإِذَا ظَهَرَ النَّاطِقُ عِنْدَ الْمَوْتِ بَطَلَ الشَّيْءُ[١].

فَالَّذِي يُرَى عَلَى الْمُغْتَسَلِ هُوَ الشَّيْءُ، وَهُوَ الصَّامِتُ، وَتَقُومُ الصُّورَةُ، وَهِيَ الْجِسْمُ الَّذِي يُدْعَى [وَصِيَّ الْإِمَامِ] بَعْدَ الْإِمَامِ.

١ مَوْجُودٌ صَفْحَةُ ٥٣ كِتَابِ الْبَحْثِ وَالدَّلَالَةِ

بَيَانُ ذَلِكَ: إِنَّ جَعْفَرَ الصَّادِقَ عَزَّ عِزُّهُ هُوَ النَّاطِقُ، وَالصَّامِتُ هُوَ مُوسَى، وَالْمِثَالُ هُوَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ الَّذِي رُئِيَ عِنْدَ الْمُغْتَسَلِ فِي أَعْيُنِ الْمَمْزُوجِينَ، وَالَّذِي قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ هُوَ النَّاطِقُ، فَمِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ أُطْلِقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ شَيْءٌ، وَالشَّيْءُ الَّذِي تَدْخُلُ عَلَيْهِ الْأَعْرَاضُ وَهَذَا وَاضِحٌ جِدًّا.

وَقَوْلُهُ: "لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ" يَعْنِي الْعَرَضَ وَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَعْرَاضَ لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا، أَلَا تَرَى أَنَّ صُفْرَةَ الْوَجَلِ وَحُمْرَةَ الْخَجَلِ، لَا بُدَّ لَهُمَا مِنْ جِسْمٍ تَظْهَرَانِ فِيهِ؟ وَهَكَذَا الْبَيَاضُ، وَالسَّوَادُ، وَالْحَرَكَةُ، وَالسُّكُونُ.

وَمُرَادُهُ بِذَلِكَ أَنَّ الْمَوْتَ لَا يَقَعُ إِلَّا بِمِثَالٍ فِي أَعْيُنِ الْمَمْزُوجِينَ.

وَقَوْلُهُ: "إِنَّ الْجِسْمَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْأَشْيَاءِ" يَعْنِي أَنَّ الصُّورَةَ مُسْتَغْنِيَةٌ عَنِ الْأَعْرَاضِ، مُظْهِرَةٌ لَهَا.

وَقَوْلُهُ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: إِنَّهُ لَيْسَ بِخَارِجٍ عَنْ حَدِّ الْأَجْسَامِ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ حَدِّ الْأَعْرَاضِ[1].

[1] لِأَنَّهُ بِحَدٍّ بِغَيْرِ هَذِهِ الْحُدُودِ

وَذَلِكَ أَنَّ الْخَالِقَ لَيْسَ هُوَ طَعْمًا وَلَا لَوْنًا وَلَا رَائِحَةً، وَلَا صَوْتًا، وَلَكِنَّهُ جِسْمٌ آخَرُ[1] خَاصٌّ مُنْفَرِدٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الْأَزَلِيَّةِ يُدْرَكُ بِالْعِيَانِ.

شَرْحُ ذَلِكَ:

قَوْلُهُ: لَيْسَ خَارِجًا عَنْ حَدِّ الْأَجْسَامِ.

يَعْنِي: فِي الظُّهُورِ. لَا فِي الْجَوْهَرِ وَالْكَيْفِيَّةِ.

وَقَوْلُهُ: وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ حَدِّ الْأَعْرَاضِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَعْرَاضَ لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا وَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ جِسْمٍ تَظْهَرُ فِيهِ.

وَقَوْلُهُ: لِأَنَّهُ يُحَدُّ بِغَيْرِ هَذِهِ الْحُدُودِ يَعْنِي: حُدُودَ الْأَعْرَاضِ.

وَإِنْ كَانَ يُدْرَكُ بِحُدُودِ الْأَجْسَامِ فِي النَّظَرِ، فَإِنَّمَا يَنْفِيهَا عَنْهُ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي تَظْهَرُ مِنْهُ لِيُثْبِتَ حُدُودَ الْقِدَمِ.

[1] جِسْمٌ آخَرُ أَيْ مُبَايِنٌ لِلْأَجْسَامِ الْعَرَضِيَّةِ

وَقَوْلُهُ: "إِنَّ الْخَالِقَ لَيْسَ هُوَ طَعْمًا، وَلَا لَوْنًا، وَلَا رَائِحَةً، وَلَا صَوْتًا" نَفَى أَنْ يَظْهَرَ بِالْأَعْرَاضِ.

ثُمَّ اسْتَدْرَكَ فَقَالَ: وَلَكِنَّهُ جِسْمٌ آخَرُ خَاصٌّ مُنْفَرِدٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ.
أَرَادَ بِقَوْلِهِ جِسْمٌ خَاصٌّ أَيْ مُبَايِنٌ لِلْأَجْسَامِ الْعَرَضِيَّةِ.

وَقَوْلُهُ: "خَاصٌّ مُنْفَرِدٌ".
أَيْ خَارِجٌ عَنْ حَدِّ الطَّبِيعَةِ، مُبَايِنٌ لِلْأَجْسَامِ الْمُرَكَّبَةِ مِنَ الْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ.

وَقَوْلُهُ: "بِالْوَحْدَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الْأَزَلِيَّةِ".
لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهُ أَقْدَمُ مِنَ الطَّبِيعَةِ الَّتِي تَظْهَرُ مِنْهَا الْمُرَكَّبَاتُ.

وَقَوْلُهُ: "يُدْرَكُ بِالْعِيَانِ" أَرَادَ بِهِ الظُّهُورَ، وَالْقَدِيمُ لَا يُدْرِكُهُ الْمُحْدَثُ وَقَدْ وَصَفَهُ بِالْقِدَمِ وَأَفْرَدَهُ عَنِ الْحَدَثِ، وَإِنَّ قَوْلَهُ إِنَّهُ "يُدْرَكُ بِالْعِيَانِ" يَعْنِي بِهِ الظُّهُورَ الَّذِي هُوَ دَلِيلٌ عَلَى الْوُجُودِ، فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ الْمُتَبَايِنِ لَفْظًا الْمُتَّفِقِ مَعْنًى.

ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِلَ فَالْإِرَادَةُ مُحْدَثَةٌ، وَإِنَّمَا يَنْتَقِلُ الْجَوْهَرُ بِالصِّفَةِ فِي الْمَوْضِعِ، وَهُوَ بِالصِّفَةِ مُنْتَقِلٌ".

تَفْسِيرُ ذَلِكَ:

قَوْلُهُ: "إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِلَ فَالْإِرَادَةُ مُحْدَثَةٌ" أَيْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَظْهَرَ فَالظُّهُورُ مُحْدَثٌ وَإِرَادَةُ الْبَارِي قَدِيمَةٌ، وَهِيَ فِي الِاسْتِطَاعَةِ وَالْفِعْلِ وَلَيْسَتْ كَإِرَادَةِ الْمَخْلُوقِينَ تَبْدُو لَهُمْ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَالْقَدِيمُ بِمُجَرَّدِ إِرَادَتِهِ تَحْدُثُ أَشْيَاءُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ الْأَعْرَاضُ يَنْتَقِلُ مِنْ حَالَةِ إِرَادَةٍ إِلَى حَالٍ غَيْرِ إِرَادَةٍ أُخْرَى وَإِنَّمَا عَنَى بِالِانْتِقَالِ الظُّهُورَ لَا غَيْرَ.

وَقَوْلُهُ: "إِنَّمَا يَنْتَقِلُ الْجَوْهَرُ بِالصِّفَةِ فِي الْمَوْضِعِ، وَهُوَ بِالصِّفَةِ مُنْتَقِلٌ" يُرِيدُ بِالْجَوْهَرِ الْقُدْرَةَ وَبِالصِّفَةِ الصُّورَةَ، أَيْ يَعْنِي تَظْهَرُ الْقُدْرَةُ بِالصُّورَةِ، فَيَبْدُو لِلْخَلْقِ مَا يَعْجِزُونَ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ: "فِي الْمَوْضِعِ" يَعْنِي حِجَابَ الظُّهُورِ الَّذِي يَظْهَرُ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: "هُوَ بِالصِّفَةِ مُنْتَقِلٌ" أَيْ نَفَى عَنْهُ الِانْتِقَالَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، لِأَنَّ حَدَّ الِانْتِقَالِ هُوَ مَا شَغَلَ حَيِّزًا، وَأَخْلَى حَيِّزًا، وَهُوَ مَنْفِيٌّ، لِأَنَّهُ يَظْهَرُ وَلَا يَتَغَيَّرُ فِي ظُهُورِهِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، فَلَيْسَ انْتِقَالُهُ عَرَضًا فَيَتَغَيَّرُ لَهُ، بَلْ هُوَ انْتِقَالٌ بِالصِّفَةِ، يَعْنِي بِاخْتِلَافِ الصُّوَرِ، وَاتِّفَاقِ الْقَدَرِ لِإِثْبَاتِ الْوُجُودِ وَنَفْيِ الْعَدَمِ.

قَالَ السَّائِلُ: فَعْلٌ يَظْهَرُ كَهَيْئَةِ خَلْقِهِ، أَمْ يَخْلُقُ خَلْقًا يَسْتَتِرُ بِهِ وَيَتَكَلَّمُ مِنْهُ؟

أَمَّا قَوْلُ السَّائِلِ فَمَفْهُومٌ، وَأَمَّا قَوْلُ الْعَالِمِ فَقَدْ بَيَّنَ أَنَّ الظُّهُورَ حَدَثَ، وَذَلِكَ لِأَنَّنَا رَأَيْنَا صُورَةً نَفَيْنَاهَا عَنِ الظَّاهِرِ بِهَا، وَأَثْبَتْنَا النَّاطِقَ بِهَا [مِنْهَا].

قَالَ السَّائِلُ: فَكَيْفَ صَارَتْ لَهُ صُورَةٌ؟

قَالَ الْعَالِمُ عَزَّ عَزُّهُ: "لِحَاجَةِ الْمَخْلُوقِينَ إِلَيْهَا كَحَاجَتِهِمْ إِلَى الْكَلَامِ، لِأَنَّهُ لَا كَلَامَ إِلَّا مِنْ صُورَةٍ، فَأَتَاهُمْ مِنْ حَيْثُ يَعْرِفُونَ".

قَالَ السَّائِلُ: وَكَيْفَ طُوِّلَ عَلَى الْعِبَادِ وَلَمْ يُنَادِهِمْ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ بِلَا تَفْرِيقٍ؟ يَعْنِي: لِمَ لَمْ يَظْهَرْ ظُهُورًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا غَيْبَةَ لَهُ؟

قَالَ الْعَالِمُ عَزَّ عَزُّهُ: "إِذَا كَانَتِ الْقُدْرَةُ لِلْقَادِرِ، فَعَلَى النَّاسِ أَنْ يُجِيبُوهَا مِنْ حَيْثُ شَاءَتْ، وَيُصَدِّقُوهَا مِنْ حَيْثُ أَتَتْ، وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الصُّوَرُ فَلَمْ تَخْتَلِفِ الْقُدَرُ وَإِنَّمَا يُعْبَدُ صَاحِبُ الْقُدْرَةِ الَّذِي لَهُ الْأَشْخَاصُ الْمُخْتَلِفَةُ".

"مَسْأَلَةٌ عَلَى أَهْلِ الظَّاهِرِ"

يُقَالُ لِأَهْلِ الظَّاهِرِ: [يَقُولُ أَهْلُ الظَّاهِرِ]

هَذَا الرَّسُولُ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ قِسْمَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْمُرْسِلِ لَهُ.

فَإِذَا قُلْتُمْ: إِنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، فَهُوَ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ مُحْدَثٌ فَكَيْفَ فَهِمَ عَنِ الْقَدِيمِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ؟ وَقَدْ نَرَى الْمُحْدَثَ لَا يَفْهَمُ عَنِ الْمُحْدَثِ وَهُوَ غَيْرُ مُبَايِنٍ كَالْعَرَبِيِّ لَا يَفْهَمُ عَنِ الْعَجَمِيِّ، وَالْعَجَمِيِّ لَا يَفْهَمُ عَنِ الرُّومِيِّ، وَالرُّومِيِّ لَا يَفْهَمُ عَنِ الْبَرْبَرِيِّ، مَعَ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي الْجِنْسِ وَلَا فِي الصُّورَةِ.

وَالْقَدِيمُ مُبَايِنٌ لِلْمُحَدَثِ، فَكَيْفَ فَهِمَ عَنْهُ؟

وَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْمُرْسِلِ لَهُ فَقَدْ شَارَكَهُ فِي الْقِدَمِ، وَذَلِكَ مُحَالٌ، فَإِنْ قُلْتُمْ: بِقُدْرَتِهِ، فَالْقُدْرَةُ قَدِيمَةٌ لَا يَفْهَمُ عَنْهَا الْمُحْدَثُ، فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّ الْبَارِيَ لَا يَعْجَزُ أَنْ يُفْهِمَهُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَلَوْ كَانَ مُحْدَثًا، فَالْبَارِي تَعَالَى لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ بِالْمُمْكِنِ عَلَى الْمُمْكِنِ، وَبِالْكَائِنِ الشَّاهِدِ عَلَى الْكَائِنِ الْغَائِبِ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّ الْبَارِيَ تَعَالَى يَقْدِرُ أَنْ يُفْهِمَ الْمُحْدَثَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، أَلْزَمْنَاكُمْ: هَلْ يَقْدِرُ الْبَارِي عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ؟

وَإِنْ كَانَ قَادِرًا أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ، فَهَلْ يَكُونُ مُسَاوِيًا لَهُ؟
وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ مُمْتَنِعًا.

وَنَقُولُ أَيْضًا قَوْلًا يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِهِ: هَلْ يَقْدِرُ الْبَارِي عَلَى أَنْ يَجْمَعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي قِشْرَةِ لَوْزَةٍ؟ لَا السَّمَاوَاتُ وَلَا الْأَرْضُ تَصْغُرَانِ، وَلَا الْقِشْرَةُ تَكْبُرُ وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ أَيْضًا، وَلَوْ كَانَ مُمْكِنًا لَكَانَ لَهُ مِنَ الْعَقْلِ دَلِيلٌ يَشْهَدُ لَهُ فَقَدْ تَبَيَّنَ فَسَادُ مَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ.

وَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّهُ فَهِمَ عَنِ الْقَدِيمِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ بِوَاسِطَةٍ، لَزِمَكُمْ مِنَ الْحُجَّةِ فِي ذَلِكَ مَا لَزِمَكُمْ فِي الرَّسُولِ وَقَدْ تَقَدَّمَ.

وَنَحْنُ نُبَيِّنُ اعْتِقَادَنَا فِيهِ وَنَقُولُ: إِنَّ صَاحِبَ الشَّرِيعَةِ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ حِجَابُ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ إِذَا أَتَى بِالْقُدْرَةِ فَتِلْكَ دَلِيلُ الْقَادِرِ، وَإِذَا أَتَى بِالْعَجْزِ فَتِلْكَ صِفَاتُ الْحِجَابِ الْبَشَرِيِّ.

وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّنَا وَجَدْنَا لِكُلِّ جِسْمٍ ظِلًّا فِي الشَّمْسِ أَوْ ظِلًّا فِي الْقَمَرِ.
وَقَدْ أَجْمَعَ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ ظِلٌّ، فَعَلِمْنَا بِخِلَافِ مَا رَأَيْتُمْ.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ.
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ يَظْهَرُ لِخَلْقِهِ مَا كَانَ لِقَوْلِهِ الظَّاهِرُ مَعْنًى هَاهُنَا.

وَالْعَجْزُ مَنْسُوبٌ إِلَى مَا رَأَيْتُمْ مِنَ الصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ.
وَالْقُدْرَةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْقَدِيمِ.
تَعَالَى اللَّهُ عَنِ الْأَضْدَادِ عُلُوًّا كَبِيرًا إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

"الْبَابُ الرَّابِعُ"

"فِي الصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ، وَالِاسْمِ وَالْمُسَمَّى"

الصِّفَةُ تَحْلِيَةُ [تَجْلِيَةُ] الْمَوْصُوفِ بِمَا يُعْرَفُ بِهِ، وَالِاسْمُ لَفْظٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى فِي نَفْسِهِ، وَالصِّفَةُ تَنُوبُ مَنَابَ الِاسْمِ تَقُومُ مَقَامَهُ، وَتَسُدُّ مَسَدَّهُ، وَتُؤَدِّي مَعْنَى الْإِشَارَةِ إِلَيْهِ لِأَنَّهَا تَزِيدُهُ حَالَةً أُخْرَى.

وَقَدْ وُضِعَتِ الصِّفَةُ لِبَيَانِ الْمَوْصُوفِ، مِثَالُ ذَلِكَ: [زَبَدٌ أَبْيَضُ] فَالزَّبَدُ هُوَ الْأَبْيَضُ وَالْأَبْيَضُ هُوَ الزَّبَدُ، إِلَّا أَنَّ الصِّفَةَ قَدْ فَرَّقَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا كَانَ أَسْوَدَ.

وَالِاسْمُ لَفْظٌ يَدُلُّ عَلَى الْمُسَمَّى، وَهُوَ الصَّوْتُ الْمَفْهُومُ بِالْحُرُوفِ الْمُتَقَطِّعَةِ عَلَى ضَرْبٍ مِنَ التَّهَجِّي غَيْرِ مُقْتَرِنٍ بِزَمَانٍ كَقَوْلِكَ: يَا زَيْدُ، يَا عَمْرُو.

وَالصِّفَةُ تُشَارِكُ الِاسْمَ فِي مَا تُؤَدِّي عَنْهُ وَتَزِيدُهُ إِيضَاحًا، فَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ الِاسْمِ وَالصِّفَةِ: فَالِاسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى، وَالصِّفَةُ غَيْرُ الْمَوْصُوفِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ أَسْمَاءِ الْبَارِي تَعَالَى وَبَيْنَ أَسْمَاءِ أَشْخَاصٍ وَقَعَ فِيهَا النُّطْقُ وَهِيَ دَلِيلُ الْوُجُودِ، أَنَّ أَسْمَاءَ الْخَلْقِ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَلْفَاظٍ وُضِعَتْ لِمُسَمَّيَاتٍ تَدُلُّ عَلَيْهَا.

وَأَنَا أُبَيِّنُ حَالَ الِاسْمِ وَالصِّفَةِ فِي الْعِبَارَةِ وَالْأَشْخَاصِ وَالْأَسْمَاءِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْخَلْقُ لِيَدْعُوا بِهَا خَالِقَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

أَلَيْسَ قَدْ تَقَرَّرَ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ [اللَّهُ] فَهُوَ الِاسْمُ، وَإِذَا قُلْتَ [الرَّحْمَنُ] فَهِيَ الصِّفَةُ، وَاللَّهُ هُوَ الرَّحْمَنُ، وَالرَّحْمَنُ هُوَ اللَّهُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[1].

فَدَلَّنَا لَنَا الْبَارِي بِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّ [اللَّهَ] يُؤَدِّي مَعْنَى الرَّحْمَنِ وَالرَّحْمَنُ يُؤَدِّي مَعْنَى اللَّهِ، هَذَا مِنْ جِهَةِ الْعِبَارَةِ الَّتِي اصْطَلَحَ الْعَالَمُ عَلَيْهَا، وَأَمَا مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ الْبَاطِنِ[2] وَالْأَشْخَاصِ فَاللَّهُ هُوَ مُحَمَّدٌ بَاطِنًا، وَمُحَمَّدٌ هُوَ الرَّسُولُ ظَاهِرًا.

فَإِذَا ظَهَرَتِ الْقُدْرَةُ فَهِيَ مِنَ اللَّهِ، وَإِذَا ظَهَرَ الْعَجْزُ فَهُوَ مِنَ الْحِجَابِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي عُرِفَ بِهِ مُحَمَّدٌ كَمَا تُعْرَفُ أَجْسَامُ الْخَلْقِ، فَلِذَلِكَ جَازَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُسَمِّيَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمِّيَ اللَّهَ، فَاللَّهُ وَاقِعٌ عَلَى اللَّاهُوتِ، وَمُحَمَّدٌ وَاقِعٌ عَلَى النَّاسُوتِ الَّذِي نَطَقَ مِنَ اللَّهِ، وَعَلِيٌّ وَاقِعٌ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي تَظْهَرُ بِمُحَمَّدٍ.

---

[1] سورة الاسراء – الاية ١١٠
[2] عِلْمِ الْبَاطِنِ

وَاللَّهُ بَدَا مِنْ إِلَهٍ مِنْ غَيْرِ انْفِصَالٍ وَلَا تَبْعِيضٍ وَإِلَيْهِ مَعَادُهُ، وَالْإِلَهُ عَلِيٌّ، وَاللَّهُ مُحَمَّدٌ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْإِلَهِ وَاللَّهِ وَأَنَّ مَعْنَى الْإِلَهِ هُوَ مَعْنَى اللَّهِ[1].

(وَعَلِيٌّ) هُوَ (مُحَمَّدٌ) وَلَيْسَ (مُحَمَّدٌ) هُوَ (عَلِيٌّ) لِأَنَّ الْقُدْرَةَ ذَاتِيَّةُ الْمَعْنَى[2] كَالْحَرَارَةِ ذَاتِيَّةٌ لِلنَّارِ، فَإِذَا بَطَلَتِ الْحَرَارَةُ مِنَ النَّارِ فَلَيْسَتْ هِيَ بِنَارٍ، وَهِيَ مِنَ الْمِيمِ بِانْتِقَالِ الظُّهُورِ، وَمُحَمَّدٌ هُوَ اللَّهُ بِإِضَافَتِهِ إِلَى الْقُدْرَةِ، وَلَيْسَ هُوَ اللَّهَ بِإِضَافَتِهِ إِلَى الصُّورَةِ[3] وَمُحَمَّدٌ وَاقِعٌ عَلَى مَا شَاهَدْتُمُوهُ.

وَاللَّهُ وَاقِعٌ عَلَى الْقَدِيمِ الْأَزَلِيِّ الَّذِي هُوَ مُبَايِنٌ لِلْمُحْدَثَاتِ، وَكُلُّ حَرْفٍ نَطَقَ بِهِ اللِّسَانُ، وَقَطَعَتْهُ اللَّهَاةُ فَهُوَ مُحْدَثٌ، وَالرَّحْمَنُ ظَاهِرُهُ الْحُسْنُ وَالْحُسْنُ هُوَ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ هُوَ الْحُسْنُ، وَاللَّهُ هُوَ الْحُسْنُ وَالْحُسْنُ هُوَ الرَّحْمَنُ وَالرَّحْمَنُ هُوَ اللَّهُ، وَهَذَا قَوْلٌ مُضْطَرِدٌ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ.

وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى بِاسْتِحْقَاقٍ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

---

[1] فِي الْأَصْلِ اللَّهُ وَهُوَ لَيْسَ بِذِي مَعْنًى
[2] ذَاتِيَّةٌ لِلْمَعْنَى
[3] فَإِذَا ظَهَرَتِ الْقُدْرَةُ بَطَلَتِ الصُّورَةُ

"الْبَابُ الْخَامِسُ"

"فِي الصِّفَةِ وَإِثْبَاتِ الْمَعْنَى الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ"

اعْلَمْ أَنَّ الصِّفَةَ تُقْسَمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: [صِفَةُ الْقِدَمِ، وَصِفَةُ الْحَدَثِ]

صِفَةُ الْقِدَمِ وَصِفَتُهَا غَيْرُ مُكَيَّفَةٍ وَلَا مَحْدُودَةٍ، وَدَلِيلُهَا ظُهُورُ الْقُدْرَةِ.

وَصِفَةُ الْحَدَثِ مُشَاهَدَةٌ بِالْأَنْظَارِ، وَالْحُدُودِ، وَالْجِهَاتِ: وَهِيَ الصُّورَةُ الْأُنْزُعِيَّةُ وَظُهُورُ الْقُدْرَةِ مِنْهَا دَالٌّ عَلَى صِفَةِ الْقِدَمِ، نَافٍ عَنْ صَاحِبِهَا أَنَّهُ مُحْدَثٌ أَوْ مُكَيَّفٌ أَوْ مَحْدُودٌ بَلْ ظَاهِرٌ مَوْجُودٌ لِلْوُجُودِ وَالْعِيَانِ عَدْلًا مِنْهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا وَيُكَلِّفَهُمْ عِبَادَةَ مَعْدُومٍ.

وَصِفَةُ الْحَدَثِ مَوْقِعُهَا التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فِي الظُّهُورِ بِالصُّوَرِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الْأَكْوَارِ وَالْأَدْوَارِ، أَمَّا صِفَةُ الْقِدَمِ مَوْقِعُهَا السَّرْمَدِيَّةُ الَّتِي غَيْرُ مُكَيَّفَةٍ وَلَا مَحْدُودَةٍ وَلَا مُدْرَكَةٍ وَلَا مَحْسُوسَةٍ، وَإِنَّمَا افْتُرِضَ عَلَيْهِمْ [يَعْنِي عَلَى الْخَلْقِ] أَنْ يَعْرِفُوا صِفَاتِ الْحَدَثِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ أَنْ يُدْرِكُوا صِفَاتِ الْقِدَمِ.

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَزَّ عَزُّهُ: "مَنْ عَرَفَ مَوَاقِعَ الصِّفَةِ، بَلَغَ قَرَارَ الْمَعْرِفَةِ".

وَقَالَ إِسْحَاقُ فِي كِتَابِ الصِّرَاطِ: حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ إِفْرَادُ الْمَعْنَى بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَتَخْلِيصُهُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ لِأَنَّهَا ذَرِّيَّةٌ، مُحْدَثَةٌ، مُكَوَّنَةٌ، نَصَبَهَا لِنَفْيِ الصِّفَةِ عَنْهُ، إِذَا أَظْهَرَهَا فِي الْعِيَانِ لِيُوقِعَ صِفَةَ مَا أَظْهَرَهُ عَلَى حَقِيقَةٍ مَوْجُودَةٍ.

وَالَّذِي أَظْهَرَهُ مِنَ الرُّؤْيَةِ فَلَهُ مَوَاقِعُ الصِّفَةِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ: دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ.

أَيْ: دَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ بِمُحَمَّدٍ مِنْ مُحَمَّدٍ.

تَفْسِيرُ ذَلِكَ: مَوَاقِعُ الظُّهُورَاتِ وَنُطْقُهَا.

وَقَوْلُهُ: بَلَغَ قَرَارَ الْمَعْرِفَةِ، الْقَرَارُ أَرَادَ بِهِ النِّهَايَةَ، لَا يَصِحُّ لِمَنْ هُوَ فِي قُمْصِ التَّأْجِيلِ أَنْ يَعْرِفَ تَعَاقُبَ حَدَثِ الصِّفَةِ وَإِفْرَادَ مَعْنَاهَا مِنْهَا وَإِنَّهُ غَيْرُهَا، وَإِنَّمَا إِشَارَتُهُ إِلَى الْمُؤْمِنِ الْعَارِفِ الْبَالِغِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ إِشَارَتَهُ إِلَى مَعْرِفَةِ صِفَاتِ الْحَدَثِ لَا صِفَاتِ الْقِدَمِ قَوْلُهُ عَزَّ عَزُّهُ: "إِنَّ وَرَائِي غَيْرِي، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ الْغَيْرِ".

أَرَادَ بِـ "إِنَّ" التَّأْكِيدَ[١] وَالْوَرَاءُ: يَعْنِي بِهِ الْبَاطِنَ الَّذِي أَنَا ظَاهِرُهُ.
وَقَوْلُهُ غَيْرِي: أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ظَاهِرِي الَّذِي تُعَايِنُونَهُ.

وَقَوْلُهُ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ مَعْرِفَةُ هَذَا الْغَيْرِ: أَرَادَ بِهِ لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُدْرِكُوا الْقَدِيمَ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي اسْتِطَاعَتِكُمْ مَعْرِفَتُهُ، وَلَسْتُمْ تُطَالَبُونَ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الصُّورَةِ الَّتِي يَظْهَرُ بِهَا كَالْجِنْسِ. [شَرْحٌ مُسْتَقْصًى].

نَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ عَلِيٌّ عَظِيمٌ.

١ التوكيد

"الْبَابُ السَّادِسُ"

"فِي الدَّلَالَةِ عَلَى تَنَاقُضِ الظَّاهِرِ وَاتِّفَاقِ الْبَاطِنِ وَإِثْبَاتِهِ"

"وَالتَّعْرِيفُ أَنَّ لِلْقُرْآنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا"

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ...﴾ هُنَا الْوَقْفُ ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[١] فَالرَّاسِخُونَ مَرْفُوعٌ بِالِاسْتِئْنَافِ لَا بِالْعَطْفِ عَلَى اللَّهِ وَسَمَّاهُمْ رَاسِخِينَ لِتَسْلِيمِهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٢] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٣] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾[٤] وَقَالَ حِكَايَةً عَنْ نُوحٍ: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[٥] فَدَلَّ هَذَا الْقَوْلُ عَلَى صِحَّةِ الْبَاطِنِ، وَمَا رَأَيْنَا شَيْئًا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ إِلَّا وَلَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَكُلُّ جِسْمٍ لَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ.

---

[١] سورة ال عمران – الاية ٧
[٢] سورة النساء – الاية ١٥٧
[٣] سورة الانعام – الاية ١١٠
[٤] سورة الانعام – الاية ١٢٠
[٥] سورة نوح – الاية ٩

"الْقَوْلُ عَنْ صِحَّةِ الْبَاطِنِ"

مَسْأَلَةٌ عَلَيْنَا لِأَهْلِ الظَّاهِرِ:

وَيَقُولُونَ: عَرِّفُونَا أَمْرَ هَذَا الْبَاطِنِ الَّذِي تَدْعُونَ بِهِ:
هَلْ جَاءَ بِهِ خُصُوصًا أَمْ عُمُومًا؟

فَإِنْ قُلْتُمْ: خُصُوصًا فَقَدْ حِدْتُمْ عَنْ طَرِيقِ الْعَدْلِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ مَذْهَبِكُمْ وَلَا تَلْزَمُنَا حُجَّةٌ إِذَا لَمْ نَعْتَقِدْهُ لِأَنَّهُ لَمْ يُلْزِمْنَا بِهِ وَلَا سَمِعْنَا فِيهِ.

وَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّهُ أَتَى بِهِ عُمُومًا، فَمَا نَرَاهُ إِلَّا خُصُوصًا لِقَوْمٍ دُونَ الْآخَرِينَ، وَمَتَى اخْتَصَّ بِهِ قَوْمٌ بِأَعْيَانِهِمْ فَلَا شَيْءَ عَلَى الْبَاقِينَ؟!

الْجَوَابُ: نَقُولُ: إِنَّ الْبَارِيَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ وَجَعَلَ فِيهِمْ اسْتِطَاعَةً وَاحِدَةً مُتَسَاوِيَةً، وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى الْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، ثُمَّ جَعَلَ الظَّاهِرَ دَلِيلًا عَلَى الْبَاطِنِ لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْبَاطِنِ إِلَّا بِظَاهِرٍ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ بِظَاهِرِ الْأَشْيَاءِ يُسْتَدَلُّ عَلَى بَاطِنِهَا، أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ صُورَةَ التِّينِ [وَهُوَ ظَاهِرُهُ] عَلِمْتَ أَنَّهُ حُلْوُ الْمَذَاقِ، وَإِنَّمَا دَلَّكَ عَلَى أَنَّهُ حُلْوٌ صُورَتُهُ الثَّانِيَةُ عِنْدَكَ وَهِيَ ظَاهِرُهُ.

أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ ظَاهِرَهُ أَخْضَرَ، ثُمَّ لَمَسْتَهُ فَوَجَدْتَهُ لَيِّنًا عَلِمْتَ أَنَّهُ يَانِعٌ وَأَنَّ دَاخِلَهُ أَحْمَرُ، وَإِنَّمَا دَلَّكَ عَلَيْهِ ظَاهِرُهُ.

وَكَذَلِكَ الْإِهْلِيلَجُ إِذَا رَأَيْتَهُ عَلِمْتَ أَنَّهُ مُرٌّ لِصُورَتِهِ الثَّابِتَةِ عِنْدَكَ، وَلَوْ أَنَّكَ مَا رَأَيْتَ التِّينَ قَطُّ وَلَا الْإِهْلِيلَجَ، لَمْ تَعْرِفْ حَلَاوَةَ هَذَا مِنْ مَرَارَةِ هَذَا ذَاكَ حَتَّى تَتَنَاوَلَهُمَا بِحَاسَّةِ الذَّوْقِ.

وَكَذَلِكَ لَا تَعْلَمُ يَانِعَ التِّينِ مِنْ فَجِّهِ حَتَّى تَأْخُذَهُ بِحَاسَّةِ اللَّمْسِ، فَيَدُلُّكَ لَمْسُ ظَاهِرِهِ عَلَى بَاطِنِهِ أَنَّهُ أَحْمَرُ لَا أَبْيَضُ، وَأَنَّهُ حُلْوٌ لَا حَرِّيفٌ، وَأَوَّلُ مَا يَقَعُ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ حَاسَّةُ النَّظَرِ وَهِيَ مُدْرِكَةٌ لِظَوَاهِرِ الْأَشْيَاءِ وَهَذَا قَوْلٌ كَافٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالشَّرَائِعِ ظَاهِرَهَا لَمَا اخْتَلَفَتْ أَوَامِرُهَا وَنَوَاهِيهَا وَتَحْلِيلُهَا وَتَحْرِيمُهَا لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَى الْقَدِيمِ التَّغَيُّرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ.

أَلَا تَرَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ الَّتِي أَتَى بِهَا مُوسَى قَدْ نَسَخَتْ مَا كَانَ قَبْلَهَا مِنَ الشَّرَائِعِ؟ وَقَدْ أَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَسْخِهَا مِثْلَ مَذْهَبِي الصَّابِئَةِ وَالْبَرَاهِمَةِ وَاعْتِقَادِهِمْ بِالْكَوَاكِبِ وَأَنَّهَا تُقَرَّبُ لَهَا الذَّبَائِحُ وَأَنَّ دُخَانَهَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا وَأَنَّهُمْ بِهَذَا الْعَمَلِ يَفُوزُونَ.

وَكَانَ مَعَهُمْ صُحُفُ إِدْرِيسَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فِي وَصَايَاهُ أَكْلَ الْبَاقِلَّى وَالْفِرَاخِ وَالْقَرْعِ، وَاعْتِكَافُ الْبَرَاهِمَةِ عَلَى الْبُذُورِ وَاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ بِهَا يَعْرِفُونَ التَّوَارِيخَ، فَلَمَّا أَتَى مُوسَى غَيَّرَ ذَلِكَ وَنَسَخَهُ وَنَقَضَهُ، وَحَرَّمَ عَلَى الْيَهُودِ الشَّحْمَ، وَأَلْزَمَهُمْ تَعْظِيمَ الْيَوْمِ السَّابِعِ وَهُوَ يَوْمُ السَّبْتِ، وَأَظْهَرَ قِيَامَ الصَّلَاةِ فِي الْبُرَاقِ وَالتَّوَجُّهَ إِلَى قُبَّةٍ مِنْ عَهْدِ آدَمَ كَانَ فِيهَا التَّابُوتُ، فَلَمَّا عَدِمُوا الْقُبَّةَ تَوَجَّهُوا إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مِنَ الْقُدْسِ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَجَعَلَ لَهَا أَحْكَامًا وَشُرُوطًا غَيْرَ تِلْكَ الْأَحْكَامِ وَالشُّرُوطِ.

ثُمَّ جَاءَ عِيسَى بِخِلَافِ ذَلِكَ وَعَاكَسَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوهُ لِأَنَّهُمْ دَلُّوا عَلَى غَيْرِهِمْ وَأَشَارَ هُوَ إِلَى نَفْسِهِ ثُمَّ حَلَّلَ السَّبْتَ.

وَكَانَ مُوسَى قَدْ قَالَ لَهُمْ: مَنْ حَلَّلَ لَكُمُ السَّبْتَ، فَاقْتُلُوهُ وَلَمَّا حَلَّلَهُ قَالَ لَهُ الْيَهُودُ: حَلَّلْتَ السَّبْتَ؟! أَنَا رَبُّ السَّبْتِ!

ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَهُ عَظَّمُوا الْأَحَدَ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ فِيهِ قَامَ مِنَ الْقَبْرِ وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ صَلَّوْا إِلَى الشَّرْقِ مُعْتَقِدِينَ التَّوَجُّهَ إِلَيْهِ لِأَنَّ الْيَهُودَ جَعَلُوا وَجْهَهُ إِلَى الشَّرْقِ لَمَّا صَلَبُوهُ، فَتَوَجَّهَ النَّصَارَى إِلَى الشَّرْقِ، ثُمَّ أَنَّهُ لَمْ يُكَلِّفْهُمْ تَكْلِيفًا، وَلَكِنْ أَصْحَابَهُ أَمَرُوا بِالتَّكْلِيفِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ:

مَا حَلَّلْتُمُوهُ فَهُوَ مُحَلَّلٌ وَمَا حَرَّمْتُمُوهُ فَهُوَ مُحَرَّمٌ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْقُرْبَانِ، وَالْخُبْزِ وَالْخَمْرِ، ثُمَّ أَنَّهُ أَظْهَرَ الْعَجْزَ، فَأَخَذَهُ الْيَهُودُ وَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ فَكَذَّبَهُمْ مُحَمَّدٌ بِقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾(١).

ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا أَتَى بِضِدِّ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ وَعَكَسَهَا، فَأَمَرَهُمْ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ وَالْجِهَادِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَتَعْظِيمِهِ وَحَرَّمَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَغَيَّرَ جَمِيعَ ذَلِكَ وَنَسَخَهُ وَاللَّهُ أَعْظَمُ، وَأَجَلُّ، وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ يَجْعَلُ فِيهِ طَاعَتَهُ ثُمَّ يَأْمُرَ بِتَغْيِيرِهِ وَتَبْدِيلِهِ.

ثُمَّ يَبْعَثَ نَبِيًّا آخَرَ وَيَأْمُرَ أَنْ يَأْمُرَ الْخَلْقَ بِشَيْءٍ، فِيهِ طَاعَتُهُ وَرِضَاهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا فِيهِ سَخَطُهُ وَمُخَالَفَتُهُ، ثُمَّ يَبْعَثَ بِأَنْ بَضِدَّ مَا أَتَى بِهِ الْأَوَّلُ، تَعَالَى اللَّهُ عُلُوًّا كَبِيرًا لِأَنَّ الْحَكِيمَ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَهُوَ أَجَلُّ وَأَعْلَى مِنْ

(١) سورة النساء – الاية ١٥٧

أَنْ يَجْعَلَ رِضَاهُ فِي جُوعِ كَبِدٍ، أَوْ سَهَرٍ أَوْ إِحْرَاقِ أَعْضَاءٍ، أَوْ قَتْلٍ، وَجَعَلَ خَطَأَهُ فِي أَكْلِ لَحْمٍ وَشُرْبِ خَمْرٍ يُعَدَّانِ[١] عِزَّةً وَبَوْلًا.

وَأَيُّ[٢] كَلِمَةٍ فِي أَنْ يُكَلِّفَ خَلْقَهُ تَكْلِيفًا لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ[٣] ثُمَّ إِذَا قَصَّرُوا عَنْ ذَلِكَ التَّكْلِيفِ عَاقَبَهُمْ عَلَيْهِ؟ وَإِنَّا نَنُسُ الْعَدْلَ أَنَّهُ افْتَرَضَ عَلَيْهِمُ الْمَعْرِفَةَ وَجَعَلَ الْجَزَاءَ عَلَيْهَا ثَوَابًا، وَكَفَاهُمْ عَنِ الْجَهْلِ، وَجَعَلَ الْجَزَاءَ عَلَيْهِ عِقَابًا.

وَكُلُّ مَا أَتَتْ بِهِ الشَّرَائِعُ مِنْ تَحْلِيلٍ وَتَحْرِيمٍ، وَأَوَامِرَ وَنَوَاهِي، فَهِيَ أَشْخَاصٌ تَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، أَشْخَاصٌ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَعْرِفَتِهَا وَطَاعَتِهَا، وَأَشْخَاصٌ نَهَى اللَّهُ عَنْهَا وَأَمَرَ بِالْبَرَاءَةِ مِنْهَا كُلُّ ذَلِكَ يَدْعُو إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَيَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ فِي الْبَاطِنِ، وَهَذَا مَوْجُودٌ عِنْدَنَا يُؤْخَذُ بِالتَّسْلِيمِ مِنَ الصَّادِقِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِذْ قَدْ ثَبَتَتِ الْأُصُولُ عَلَى النَّظَرِ.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[٤] وَقَالَ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[٥] وَقَالَ: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ

---

١ يُعَدُّ
٢ وَأَيَّةُ
٣ وَأَيَّةُ حِكْمَةٍ فِي أَنْ يُكَلِّفَ..
٤ سورة هود – الاية ٨٧
٥ سورة العنكبوت – الاية ٤٥

رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[١] فَدَلَّ هَذَا الْقَوْلُ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ آمِرَةٌ نَاهِيَةٌ، وَأَنَّ الذَّاكِرَ اسْمَ رَبِّهِ مُصَلٍّ، وَأَنَّ هَذِهِ حَرَكَاتُ أَعْضَاءٍ، فَأَيْنَ تَكُونُ آمِرَةً نَاهِيَةً؟[٢].

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ فَعلَهَا[٣] وَحَثَّ عَلَيْهَا؟

فَالْجَوَابُ: قَدْ عَرَّفْنَاكَ أَنَّهُ أَقَامَ ظَاهِرًا جَعَلَهُ دَلِيلًا عَلَى الْبَاطِنِ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمْ يُعْرَفْ لَا الظَّاهِرُ وَلَا الْبَاطِنُ، وَمِمَّا يُبَيِّنُ فَسَادَ الظَّاهِرِ أَنَّهُ كَانَ يَجِبُ عَنْ طَرِيقِ الْعَدْلِ عِنْدَمَا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِهَذَا الشَّرْعِ أَنْ يَبْعَثَ فِي أَقْصَى بَلَدِ الصِّينِ رَسُولًا يَأْمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَنَا بِهِ سَوَاءً مِنْ فَرَائِضَ [صَوْمٍ، وَصَلَاةٍ، وَحَجٍّ، وَزَكَاةٍ، وَجِهَادٍ] وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَدْ رُوِيَ لَنَا أَنَّ فِي الصِّينِ قَوْمًا مَا سَمِعُوا بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ وَلَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِهَذَا الْمَعْنَى، وَإِنَّمَا الْبَارِي تَعَالَى يَظْهَرُ فِي كُلِّ جِنْسٍ كَهُمَ[٤] يَدُلُّ عَلَى وُجُودِهِ وَلَا يُنْكَرُ فِي اخْتِلَافِ الشَّرَائِعِ وَالظُّهُورَاتِ.

---
[١] سورة الاعلى – الاية ١٥
[٢] فَكَيْفَ تَكُونُ آمِرَةً نَاهِيَةً؟
[٣] قَالَهَا
[٤] كهو

أَلَا تَرَى أَنَّهُ ظَهَرَ لِلْفُرْسِ كَهُمْ وَحَلَّلَ مَا خَطَرَ فِي هَذِهِ الشَّرَائِعِ ثُمَّ غَابَ فِي النَّارِ فَعَظَّمُوهَا إِلَى الْآنَ؟ وَكَذَلِكَ يَظْهَرُ فِي كُلِّ جِنْسٍ كَالْجِنْسِ مِنْ غَيْرِ إِدْرَاكٍ، وَلَا حَصْرٍ وَلَا اخْتِلَافٍ، بَلْ إِثْبَاتًا وَإِيجَادًا، وَعِيَانًا كُلُّ ذَلِكَ عَدْلًا مِنْهُ تَعَالَى.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ مُوسَى وَغَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ لَمْ يُشِيرُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَإِنَّمَا أَشَارُوا إِلَى غَيْرِهِمْ وَقَالُوا: نَحْنُ رُسُلٌ؟

فَالْجَوَابُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَا: إِنَّ مُوسَى وَغَيْرَهُ حِجَابٌ ظَهَرَ بِهِ الْقَدِيمُ فِي وَقْتِ إِظْهَارِ الْقُدْرَةِ، فَهُوَ اللَّهُ بِإِضَافَتِهِ إِلَى الْقُدْرَةِ، وَلَيْسَ هُوَ اللَّهَ بِإِضَافَتِهِ إِلَى الصُّورَةِ، وَإِنَّمَا دَلَّ النَّاسَ عَلَى الظَّاهِرِ بِهِ وَأَنَّهُ مَا كَانَ مِنْ قُدْرَةٍ، فَهِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْقَدِيمِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجْزٍ نَحْوٌ مَنْسُوبٌ إِلَى الْحِجَابِ الْبَشَرِيِّ الدَّمَوِيِّ الَّذِي تُشَاهِدُهُ الْخَلْقُ كَأَحَدِهِمْ.

وَلَوْ ذَهَبْنَا إِلَى شَرْحِ مَا قَالَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْ كَلَامٍ يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ لَكَانَ الشَّرْحُ مِثْلَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ عَزَّ عِزُّهُ: "إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ".

أَيْ: "إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي فَيُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي" فَقَدْ نَفَى عَنْهُ بِهَذَا الْقَوْلِ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَمِثْلَ هَذَا الْكَثِيرِ تَرَكْنَاهُ اخْتِصَارًا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾(١) وَقَالَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ عَزَّ عَزُّهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾(٢).

وَقَالَ حِكَايَةً عَنِ الْمَسِيحِ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾(٣) وَقَالَ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾(٤) وَقَالَ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾(٥)

فَتَقُولُ: قَدْ تَقَدَّمَ الْجَوَابُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ".

أَيْ ظَاهِرٌ لَكُمْ كَأَنْتُمْ، وَهَذَا الْجَوَابُ وَاقِعٌ عَلَى الْحِجَابِ الْبَشَرِيِّ، وَمَا كَانَ مِنْ قُدْرَةٍ فَهِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْقَدِيمِ، وَإِنَّمَا الصِّفَةُ الْبَشَرِيَّةُ حِجَابٌ وَوَاسِطَةٌ وَقَعَ النَّظَرُ عَلَيْهِ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ مِنْهُ لِيَدُلَّ بِذَلِكَ عَلَى الْبَاطِنِ الَّذِي يَظْهَرُ بِهِ لِأَنَّهُ لَا كَلَامَ إِلَّا مِنَ الصُّورَةِ.

---

١ سورة ال عمران – الاية ١٤٤
٢ سورة الكهف – الاية ١١٠
٣ سورة المائدة – الاية ٧٥
٤ سورة الاعراف – الاية ٥٩
٥ سورة الرعد – الاية ٣٨ وسورة الروم – الاية ٤٧

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ قَرَّرْتَ أَنَّ الْبَارِيَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَكَيْفَ لَمْ يُقْدِرِ الْخَلْقَ كَافَّةً عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِهِ وَيَمْنَعَهُمْ مِنَ الْإِنْكَارِ؟

وَالْجَوَابُ: قَدْ بَيَّنْتُ لَكَ أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ جَعَلَ فِيهِمُ اسْتِطَاعَةً وَاحِدَةً مُتَسَاوِيَةً، وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى الْإِقْرَارِ بِطَاعَةٍ وَلَا مَعْصِيَةٍ، بَلْ جَعَلَ الِاسْتِطَاعَةَ فِيهِمْ وَاحِدَةً، ثُمَّ احْتَجَبَ بِخَلْقِهِ، وَنَطَقَ مِنْ ذَلِكَ الْحِجَابِ، وَأَظْهَرَ مِنْهُ الْقُدْرَةَ لِتَكُونَ دَلِيلًا عَلَى قِدَمِهِ، فَأَقَرَّ مَنْ أَقَرَّ وَأَنْكَرَ مَنْ أَنْكَرَ، وَلَوْ أَجْبَرَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ لَخَرَجَ بِذَلِكَ عَنْ حَدِّ الْعَدْلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَلَيْسَ قَدْ عَلِمَ مِنَ الطَّائِعِ أَنَّهُ سَيُطِيعُ، وَمِنَ الْعَاصِي أَنَّهُ سَيَعْصِي؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّنَا نَقُولُ قَدْ عَلِمَ، وَلَكِنْ لَيْسَ عِلْمُهُ فِيهِمْ قَضَاءً عَلَيْهِمْ بِطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، بَلْ جَعَلَ لَهُمُ الْقُدْرَةَ وَالِاسْتِطَاعَةَ عَلَى الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ لِئَلَّا يَلْزَمَ الْجَبْرُ وَالْإِكْرَاهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: نَحْنُ نَرَى الْخَلْقَ مُتَبَايِنِينَ فِي الِاسْتِطَاعَةِ بِالْعِلْمِ، وَالرِّزْقِ، وَالْأَجَلِ وَالْخَلْقِ، وَلَسْنَا نَرَاهُمْ فِي تَعْدِيلٍ وَاحِدٍ وَنِظَامٍ وَاحِدٍ؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّمَا وَقَعَ التَّعْدِيلُ بَيْنَهُمْ فِي الِابْتِدَاءِ، وَهُمْ أَشْخَاصٌ نُورِيَّةٌ، قَبلَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُمْ هَذِهِ الْأَبْدَانَ اللَّحْمِيَّةَ الدَّمَوِيَّةَ وَيُكَرِّرَهُمْ فِيهَا بِالتَّكْرِيرَاتِ لَحِقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا اسْتَحَقَّ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَغِنًى وَفَقْرٍ، وَصِحَّةٍ وَسُقْمٍ، وَعِلْمٍ وَجَهْلٍ، وَثَوَابٍ وَعِقَابٍ وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي بَابِ التَّنَاسُخِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَإِذَا قُلْنَا لَكَ: هَلْ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ تَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ، أَوْ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِمْ؟

فَإِنْ قُلْتَ: تَفَضُّلًا، فَقَدْ كَانُوا فِي حَالِ الْعَدَمِ، وَإِنَّمَا التَّفَضُّلُ عَلَى مَوْجُودٍ لَا عَلَى مَعْدُومٍ ثُمَّ جَعَلَهُمْ مُكَلَّفِينَ بَيْنَ طَاعَةٍ يُثَابُونَ عَلَيْهَا وَمَعْصِيَةٍ يُعَاقَبُونَ بِهَا، وَلَيْسَ هَذَا وَجْهَ التَّفَضُّلِ فَإِنْ قُلْتَ: الْحَاجَةَ، فَالْبَارِي تَعَالَى غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى شَيْءٍ، وَإِنْ قُلْتَ: لَا تَفَضُّلًا وَلَا لِحَاجَةٍ، فَهُوَ عَابِثٌ، وَاللَّهُ يُجِلُّ عَنِ الْعَبَثِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَهَلْ يَجُوزُ لِلْفَاعِلِ أَنْ يُسَمَّى فَاعِلًا إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟
وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى فَاعِلًا قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ مِنْهُ فِعْلٌ؟

فَنَقُولُ: لَا، وَهَذَا بِقَسَمِ الضَّرُورَةِ: لَا بُدَّ لِلْفَاعِلِ مِنْ فِعْلٍ، وَإِلَّا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلًا قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ مِنْهُ فِعْلٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْبَارِي خَالِقٌ أَمْ غَيْرُ خَالِقٍ؟

فَنَقُولُ: خَالِقٌ، وَلَا يَزَالُ خَالِقًا، وَالْخَلْقُ فِعْلُهُ، وَلَوْ لَمْ يَخْلُقْ مَا جَازَ أَنْ يُقَالَ لَهُ: خَالِقٌ، وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ مَعَهُ قَدِيمًا بِالِاسْتِطَاعَةِ، ظَاهِرٌ مُحْدَثٌ بِإِحْدَاثِهِ إِيَّاهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ الْبَارِيَ تَعَالَى كَانَ وَلَا خَلْقَ، وَصِفَةٌ وَلَا وَاصِفَ وَلَا مَوْصُوفَ وَهَذِهِ نِسْبَةُ الْقَدِيمِ، ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ.

فَكَيْفَ نَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَخْلُقُ؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّا نَقُولُ: إِنَّ أَفْعَالَ خَلْقِهِ هِيَ الْمُحْتَاجَةُ إِلَى الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ حَتَّى يُقَالَ: [قَبْلُ، وَبَعْدُ] وَالْقَدِيمُ أَفْعَالُهُ غَيْرُ مُحْتَاجَةٍ إِلَى زَمَانٍ وَلَا إِلَى مَكَانٍ إِذَا كَانَ هُوَ مُحْدِثَ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ، بَلْ فِعْلُهُ فِعْلُ الِاسْتِطَاعَةِ فِي الْفَاعِلِ قَبْلَ أَنْ يُظْهِرَهُ إِلَى الْفِعْلِ، وَهَذَا قَوْلٌ كِفَايَةٌ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

"الْبَابُ السَّابِعُ/ فِي إِثْبَاتِ الْعَدْلِ"

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَدْلِهِ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١] وَقَالَ عَزَّ عَزُّهُ: "إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ إِلَيْكُمْ"

وَقَالَ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٢] وَقَالَ: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[٣] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[٤].

وَلَوْ كَانَ الْعَدْلُ عَلَى مَا يَدَّعِيهِ أَهْلُ الظَّاهِرِ لَكَانَ التَّفَاوُتُ كُلُّهُ فِي خَلْقِهِ، تَعَالَى اللَّهُ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَلِيَكُونَ جَائِرًا لَا عَادِلًا، لِأَنَّنَا نَرَى فِي هَذَا الْعَالَمِ التَّفَاوُتَ كُلَّهُ: لِأَنَّ فِيهِمُ الْأَزْمَنَ، وَالْمَفْلُوجَ، وَالْأَعْمَى، وَالْأَشَلَ، وَالسَّقِيِّمَ، وَالْفَقِيرَ.

وَنَرَى الصَّحِيحَ، وَالْمَلِيحَ الصُّورَةِ، وَالْكَثِيرَ الْمَالِ، فَوَاحِدٌ يَبَاتُ جَائِعًا، وَآخَرُ لَهُ عِدَّةُ عَبِيدٍ، وَحَشَمٍ، وَخَدَمٍ، يَرْمُونَ[٥] الطَّعَامَ.

---

[١] سورة يونس – الاية ٤٤
[٢] سورة الزلزلة – الاية ٧-٨
[٣] سورة الانبياء – الاية ٤٧
[٤] سورة الملك – الاية ٣
[٥] يسرقون

وَهَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ التَّفَاوُتُ وَالْجَوْرُ بِعَيْنِهِ فِي اعْتِقَادِ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا عَدْلٌ مِنَ الْبَارِي عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَيَحْتَجُّ بِالتَّفْوِيضِ عَنْ جَمِيعِ مَا يَلْحَقُهُ فِي الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا رَأْيٌ فَاسِدٌ مُحَالٌ يُنْسَبُ الْبَارِي فِيهِ إِلَى الْجَوْرِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَنَحْنُ نُقَرِّرُ الْأَصْلَ عِنْدَ مَنْ يَعْتَقِدُ هَذَا الِاعْتِقَادَ لِيَبَيِّنَ لَهُ، فَسَادُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنِ اعْتَقَدَ الْعَدْلَ مِنْ أَهْلِ الظَّاهِرِ وَتَكَلَّمَ عَلَيْهِ:

هَلْ يَجُوزُ لِلْعَادِلِ أَنْ يُعَاقِبَ قَبْلَ الْفِعْلِ أَمْ بَعْدَ الْفِعْلِ؟

فَإِنْ قَالَ: قَبْلَ الْفِعْلِ، فَهَذَا هُوَ الْجَوْرُ، وَإِنْ قَالَ: بَعْدَ الْفِعْلِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا ذَنْبُ الطِّفْلِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ أَعْمَى، وَيَخْرُجَ زَمِنًا أَوْ مَفْلُوجًا وَمَا اسْتَحَقَّ ذَلِكَ لِيُعَوِّضَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

فَهَذَا نَفْسُ الْجَوْرِ لِأَنَّ التَّعْوِيضَ يَكُونُ بِالْمُرَاضَاةِ، وَهَذَا مُجْبَرٌ عَلَى الْعَمَى فَهَلْ يَجُوزُ فِي حُكْمِ الْعَدْلِ أَنْ يَقْطَعَ السُّلْطَانُ يَدَكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ.

وَيُعَوِّضَكَ عَنْهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَأَنْتَ كَارِهٌ لِمَا فَعَلَهُ بِكَ؟ فَهَذَا نَفْسُ الْجَوْرِ: تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

فَإِنْ قُلْتَ: رَأَى الْبَارِي فِي عَمَاهُ خَيْرًا لَهُ فَأَعْمَاهُ، كَمَا إِذَا رَأَى الطَّبِيبُ عُضْوًا يُفْسِدُ الْبَدَنَ قَطَعَهُ، وَكَمَا أَنَّ الطَّبِيبَ يَمْنَعُ الطِّفْلَ عَنِ الْفَالُوذَجِ وَيُطْعِمُهُ الْإِهْلِيلَجَ لِمَا يَرَى لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَنْفَعَةِ فَهَذَا نَفْسُ الْمُغَالَطَةِ وَالْبُهْتِ، لِأَنَّ الطَّبِيبَ يَقْطَعُ ذَلِكَ الْعُضْوَ خَشْيَةَ أَنْ يُفْسِدَ الْجِسْمَ كُلَّهُ لِأَنَّهُ عُضْوٌ فَاسِدٌ، وَيُطْعِمُهُ الْإِهْلِيلَجَ عِنْدَ الْعَرَضِ الدَّاخِلِ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي هَذَا شَيْءٌ مِنَ الْفَسَادِ وَلَا مِنَ الْأَعْرَاضِ الَّتِي الْعَمَى يَنْفَعُهَا وَيُوقِعُهَا، وَأَيَّةُ مُنْصِفَةٍ فِي الْفَقِيرِ وَهُوَ يُولَدُ وَيَنْشَأُ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُشْبِعَ الْخُبْزَ وَآخَرُ مِثْلُهُ لَهُ عَبِيدٌ وَرِزْقٌ كَثِيرٌ؟ فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُ أَنَّهُ إِذَا خَلَقَهُ صَحِيحَ الْعَيْنَيْنِ ارْتَكَبَ الْمَحَارِمَ. وَإِذَا خَلَقَهُ صَحِيحَ الرِّجْلَيْنِ يَسْعَى فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.

فَهَذَا قَوْلٌ يُفَسَّرُ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: إِنَّ الْبَارِيَ لَا يُطَالِبُ الْعِبَادَ بِعِلْمِهِ فِيهِمْ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَعْدَلِ مِنْ ذَلِكَ، وَالثَّانِي: أَنَّنَا قَدْ نَرَى مَنْ هُوَ صَحِيحُ الْعَيْنَيْنِ يَرْتَكِبُ الْمَحَارِمَ، وَصَحِيحُ الرِّجْلَيْنِ يَسْعَى فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَكَثِيرُ الْمَالِ يَحْتَقِبُ الْأَوْزَارَ وَيَسْعَى عَلَى الْأَنْفُسِ فَيَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا بِمَالِهِ.

فَلِمَ مُنِعَ مِنْ هَذَا الْبَصَرِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ، لِعِلْمِهِ بِهِ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا السَّالِمِ الْمُعَافَى مِنَ الْعَاهَاتِ كُلِّهَا، وَلِمَ أُعْطِيَ هَذَا وَسُلِبَ ذَاكَ الْآلَةَ الَّتِي يَقْدِرُ بِهَا عَلَى الْمَعَاصِي الْمُرْتَكِبِ لَهَا؟ فَهَذَا قَوْلٌ يُبَيِّنُ فَسَادَ مَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ.

وَنَحْنُ نُبَيِّنُ وَجْهَ الْعَدْلِ عَلَى مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ، فَنَقُولُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ: إِنَّ الْأَعْمَى وَالْأَزْمَنُ[١] وَالْمَفْلُوجُ وَصَاحِبُ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ كُلِّهَا، إِنَّمَا يَلْحَقُهُ ذَلِكَ مُجَازَاةً لَهُ عَلَى فِعْلٍ سَلَفَ مِنْهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْجِسْمِ.

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ جِسْمٍ إِلَى جِسْمٍ، وَيَكُونُ قَدْ لَهُ فِي قَمِيصٍ قَبْلَ ذَلِكَ الْقَمِيصِ الَّذِي عَمِيَ مِنْهُ ذَنْبٌ اسْتَحَقَّ بِهِ الْعَمَى فَيَعْمَى أَوْ ذَنْبٌ اسْتَحَقَّ بِهِ الْفَقْرَ فَيَفْتَقِرُ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ الدُّنْيَا قَدْ عَمِلُوا مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ الْغِنَى فَاسْتَغْنَوْا عَلَى قَدْرِ فِعْلِهِمْ، سَوَاءٌ خَيْرًا بِخَيْرٍ وَشَرًّا بِشَرٍّ.

وَسَنَدُلُّ عَلَى هَذَا فِي بَابِ التَّنَاسُخِ وَنُقِيمُ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ بِحُجَّةٍ شَرْعِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ فِي بَابٍ عَقِيبِ هَذَا الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَلَا تَرَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُلُوكِ الْمُتَجَبِّرِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْأَنْفُسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْخُذُونَ الْأَمْوَالَ غَصْبًا، إِنَّمَا أَعْطَاهُمُ الْبَارِي ذَلِكَ عَدْلًا بِمَا قَدْ سَلَفَ مِنْهُمْ مِنَ الْفِعْلِ الَّذِي اسْتَحَقُّوا بِهِ هَذَا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ، ثُمَّ يُحَاسِبَهُمْ عَلَى مَا اقْتَرَفُوا مِنَ الْآثَامِ فَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ فَإِنْ قُلْتَ: يَجِبُ عَلَى جِهَةِ الْعَدْلِ أَنْ يُشْبِهَ عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ فِي ذَلِكَ الْجِسْمِ، وَيُعَاقِبَهُ فِي ذَلِكَ الْقَمِيصِ الَّذِي عَمِلَ فِيهِ الشَّرَّ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعَاقِبَهُ فِي جِسْمٍ لَمْ يَقْتَرِفْ فِيهِ الذَّنْبَ؟!

---

١ أَزْمَنَهُ اللَّهُ": ابْتَلَاهُ بِالزَّمَانَةِ، الزَّمَانَةُ الْعَاهَةُ لِعَدَمِ بَعْضِ الْأَعْضَاءِ، الْمُنْجَدُ

فَالْجَوَابُ: إِنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ وَاصِلَانِ إِلَى الرُّوحِ لَا إِلَى الْجِسْمِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ أَنَّ الْجِسْمَ إِذَا فَارَقَتْهُ الرُّوحُ لَا يُحِسُّ بِالْأَلَمِ وَلَوْ أَحْرَقْتَهُ، وَلَا يَلْتَذُّ بِلَذَّةٍ وَلَوْ طَيِّبَةً، فَلَا يُحِسُّ بِعِقَابٍ، وَلَا يَلْتَذُّ بِثَوَابٍ.

وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ، وَكَانَتِ الرُّوحُ هِيَ الْمُعَاقَبَةُ وَالْمُثَابَةُ، فَلَا تُبَالِي فِي أَيِّ جِسْمٍ كَانَ، إِذَا الْأَلَمُ وَاصِلٌ إِلَيْهَا، وَهَذَا بَيَانٌ وَاضِحٌ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[١] وَإِلَّا مَا ذَنْبُ ذَلِكَ الْجِلْدِ الَّذِي لَمْ يَعْصِ اللَّهَ فِيهِ يُعَاقَبُ بِالْعَذَابِ؟

وَلَوْلَا أَنْ تَكُونَ حَقِيقَةُ الْعَذَابِ لِلرُّوحِ وَالْأَلَمُ وَاصِلٌ إِلَيْهَا لَا إِلَيْهِ مَا جَازَ التَّبْدِيلُ لِأَنَّهُ لَا يَشْعُرُ بِشَيْءٍ، وَالْجُلُودُ الَّتِي يُبَدِّلُهَا اللَّهُ هِيَ الْمَسُوخِيَّاتُ وَالْمُرَكَّبَاتِ فِي الذَّبُوحَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَنَا مِنَ الْجَهْلِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

---

[١] سورة النساء – الاية ٥٦

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ جَعَلَ فِي الْخَلْقِ اسْتِطَاعَةً لِلشَّرِّ حَتَّى يَعْصُوهُ إِذَا فَعَلُوهُ؟ وَلِمَ أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ؟ وَلِمَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ طَرِيقًا إِلَى الْخَيْرِ فَقَطْ؟ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ طَرِيقًا إِلَى الْمَعْصِيَةِ فَتَكُونَ سَبَبًا لِهَلَاكِهِمْ وَتَعْذِيبِهِمْ، هَذَا لَعَمْرِي سُؤَالٌ فِيهِ صُعُوبَةٌ، فَتَأَمَّلْ مَعْنَاهُ يَتَّضِحْ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَالْجَوَابُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الشَّيْءَ وَضِدَّهُ دَلِيلًا عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ يَدُلُّ بِهِ عَلَيْهِ وَلِحَاجَةِ الْمَخْلُوقِينَ إِلَيْهِ فَخَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَالْحَرَكَةَ وَالسُّكُونَ، وَالْفَرَحَ وَالْحُزْنَ كُلُّ ذَلِكَ لِحَاجَةِ الْمَخْلُوقِينَ إِلَيْهِ لِيَدُلَّهُمْ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، فَلَوْ لَمْ يَخْلُقِ اللَّيْلَ مَا عَرَفُوا حِسَابَ السِّنِينَ وَالشُّهُورِ وَكَانَ النَّهَارُ عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا، وَلَمْ يَعْرِفُوا لِلسِّنِينَ عَدَدًا، وَلَوْ لَمْ يَخْلُقِ السُّكُونَ مَا عَرَفَتِ الْحَرَكَةَ، لِأَنَّ حَدَّ الْحَرَكَةِ عَدَمُ السُّكُونِ، وَحَدُّ السُّكُونِ عَدَمُ الْحَرَكَةِ، وَكَذَلِكَ الْفَرَحُ وَالْحُزْنُ يَجْرِيَانِ هَذَا الْمَجْرَى، تُخْلَقُ الْأَشْيَاءُ وَيُخْلَقُ أَضْدَادُهَا لِحَاجَةِ الْمَخْلُوقِينَ، وَكَذَلِكَ لَوْلَا الْإِنْكَارُ مَا عُرِفَ الْإِقْرَارُ وَلَوْلَا الْمَعْصِيَةُ مَا عُرِفَتِ الطَّاعَةُ.

وَبِالْجُمْلَةِ أَقُولُ: إِنَّ ذَوِي الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ جَعَلَهُمْ مُسْتَطِيعِينَ وَلَمْ يُجْبِرْهُمْ بِشَيْءٍ وَلَمْ يَقْضِ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ خِلَافَ مَا قُلْتَ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[1] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[2] وَقَالَ: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾[3] وَأَيُّ عَدْلٍ فِي هَذَا إِذَا كَانَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

الْجَوَابُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ بِغَيْرِهَا مِنْ كِتَابِهِ إِنَّهُ فَعَلَ بِهِمْ هَذَا بِاسْتِحْقَاقِهِمْ، فَهَدَى قَوْمًا اسْتَحَقُّوا الْهُدَى، وَأَضَلَّ قَوْمًا اسْتَحَقُّوا الضَّلَالَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[4] وَقَالَ: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾[5] [فَاسْتَحَقَّهَا] هَذَا فِي بَابِ الضَّلَالَةِ، وَهَذَا فِي بَابِ الْهِدَايَةِ، وَقَالَ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[6].

[1] سورة الانعام – الاية ١٢٥
[2] سورة القصص – الاية ٥٦
[3] سورة الكهف – الاية ١٧
[4] سورة الزمر – الاية ٣
[5] سورة الاعراف – الاية ٣٠
[6] سورة فصلت – الاية ١٧

"الْبَابُ الثَّامِنُ"

"فِي الدَّلَالَةِ عَلَى التَّنَاسُخِ"

أَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِهِ مِنَ الْمَعْقُولِ فَنَقُولُ:

إِنَّ الْإِنْسَانَ مُتَحَرِّكٌ فِي حَالِ الْحَيَاةِ، قَائِمٌ قَاعِدٌ، فَإِذَا مَاتَ نَرَاهُ جَمَادًا، فَلَا بُدَّ بِقَسَمِ الضَّرُورَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لِلرُّوحِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ مُسْتَقَرٌ تَحِلُّ فِيهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِي جِسْمٍ مُتَحَرِّكٍ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّنَا نَرَى أَنَّ النَّارَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ جِسْمٍ بَسِيطٍ أَوْ مُرَكَّبٍ وَكَذَلِكَ النَّارُ إِنْ لَمْ تَجِدْ جِسْمًا مُرَكَّبًا تَعَلَّقَتْ فِي جِسْمِ الْهَوَاءِ، وَعَادَتْ إِلَى عُنْصُرِهَا الَّذِي مِنْهُ بَدَتْ[١] وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ النَّارَ مُتَعَلِّقَةٌ بِجِسْمِ الْهَوَاءِ أَنَّهَا لَا تَثْبُتُ إِلَّا فِي جِسْمٍ، مَا نَرَاهُ فِي الزِّنَادِ، وَالسَّلَاطِ، وَالِاحْتِرَاقِ.

فَالسَّلَاطُ يَحُكُّ الزِّنَادَ فَيَدْخُلُ الْهَوَاءُ بَيْنَهُمَا فَتَنْقَدِحُ النَّارُ بِقُوَّةٍ جَاذِبِيَّةٍ وَتَثْبُتُ فِي جِسْمِ الِاحْتِرَاقِ وَهَذَا قَوْلُ أَرِسْطَالِيسَ فِي النَّارِ، وَلَا خِلَافَ عِنْدَ أَهْلِ الْفِعْلِ وَالْقِيَاسِ فِيهِ، وَأَمَّا الْمَنْقُولُ، فَقَدْ دَلَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى التَّنَاسُخِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿يَا

---

١ بَدَأَتْ

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[١] وَقَالَ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[٢] وَقَالَ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾[٣] مَعْنَاهُ: جِسْمٌ عَنْ جِسْمٍ[٤].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾[٥].
وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ: جَعَلَ لِحَالِهَا أُذُنًا بِهَا.

وَقَالَ: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾[٦]
جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ: إِنَّهُمَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾[٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٨] وَآيَاتٌ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُ هَذِهِ كَثِيرَةٌ اقْتَصَرْنَا مِنْهَا عَلَى مَوْضِعِ الْحَاجَةِ.

[١] سورة الإنفطار – الاية ٦-٨
[٢] سورة الانعام – الاية ٣٨
[٣] سورة الإنشقاق – الاية ١٩
[٤] جسم من جسم
[٥] سورة النساء – الاية ٤٧
[٦] سورة الاسراء – الاية ٥٠-٥١
[٧] سورة المائدة – الاية ٦٠
[٨] سورة البقرة – الاية ٦٥-٦٦

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ لَا يُذْكَرُ الْإِنْسَانُ النَّقْلَةَ الَّتِي يَنْتَقِلُ إِلَيْهَا مِنْ جِسْمٍ إِلَى جِسْمٍ لِيَكُونَ أَوْكَدَ وَأَوْفَى فِي الْحُجَّةِ وَتَكُونَ ظَاهِرَةً؟

فَالْجَوَابُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: إِنَّنَا نَرَى الْإِنْسَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ السَّهْوُ وَالنِّسْيَانُ وَهُوَ فِي هَذَا الْجِسْمِ الَّذِي لَمْ يَنْتَقِلْ مِنْهُ، فَكَيْفَ لَا يَنْسَى حَالَةً فِي هَيْكَلِهِ الْأُولَى؟[١].

وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ اجْتَهَدَ أَنْ يَذْكُرَ قَطْعَ سُرَّتِهِ لَمْ يَذْكُرْ.

فَأُحْرَى وَأَوْلَى أَنْ لَا يَذْكُرَ مَا كَانَ مِنْهُ فِي مَا تَقَدَّمَ قَبْلَ ذَلِكَ الْجِسْمِ.

وَهَذَا هُوَ دَلِيلُ النِّسْيَانِ.

---

١ خَلْقِهِ

"الْبَابُ التَّاسِعُ"

"فِي مَا يَجِبُ تَقْلِيدُهُ مِنْ بَدْءِ الْخَلْقِ وَتَرْكِيبِهِ"

وَهُوَ مَا نَقَلَهُ الثِّقَاةُ عَنْ مَوَالِينَا أَهْلِ الْبَيْتِ جَلَّ ذِكْرُهُم إِذْ قَدْ بَيَّنَ(١) عَلَى الْفِعْلِ وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ وَالْمُرْشِدُ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ شُعْبَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِـ [حَقَائِقِ أَسْرَارِ الدِّينِ] أَنَّ ابْنَ ظَبْيَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ(٢) سَأَلَ الْمُفَضَّلَ بْنَ عُمَرَ مِنْهُ السَّلامُ فَقَالَ الْمُفَضَّلُ: سَأَلْتُ مَوْلَايَ الْعَالِمَ عَزَّ عِزُّهُ: مَا أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ؟

قَالَ: "النُّورُ الظِّلِّيُّ" قُلْتُ: مِمَّ خَلَقَهُ؟

قَالَ: "مِنْ مَشِيئَتِهِ، ثُمَّ قَسَّمَهُ أَظِلَّةً، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾(٣)".

---

١ بَيَّنَتْ
٢ يُونُس بْنَ ظَبْيَانَ الصَّخْرِيِّ: الْيَتِيمَ الثَّانِيَ لِلْبَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُفَضَّلِ، فِي الْمَطْلَعِ الثَّامِنِ عَلِيٍّ الرِّضَا
٣ سورة الفرقان – الاية ٤٥-٤٦

قُلْتُ: وَعَلَى أَيِّ مِثَالٍ خَلَقَهُ؟

قَالَ: "عَلَى مِثَالِ صُورَتِهِ، ثُمَّ قَسَّمَهُ أَظِلَّةً، فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَرَأَوْا أَنْفُسَهُمْ أَنَّهُمْ كُوِّنُوا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا، وَجَعَلَ فِيهِمُ اسْتِطَاعَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَهُمْ".

قُلْتُ: كَيْفَ أَدَّبَهُمْ؟

قَالَ: "سَبَّحَ نَفْسَهُ فَسَبَّحُوهُ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ فَحَمِدُوهُ، وَمَجَّدَ نَفْسَهُ فَمَجِّدُوهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ كَيْفَ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيَشْكُرُهُ".

قَالَ: "ثُمَّ خَلَقَ مِنَ الْأَظِلَّةِ أَشْبَاحًا وَجَعَلَهَا صُوَرًا، وَجَعَلَهَا لِبَاسَ الْأَظِلَّةِ. ثُمَّ خَلَقَ الْحِجَابَ الْأَعْلَى وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[1]".

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِكِتَابِ [الِابْتِدَاءِ] سَأَلَ يُونُسُ بْنُ ظَبْيَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عَزَّ عَزُّهُ: مَا أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى؟ قَالَ: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ النُّورِ أَظِلَّةً، ثُمَّ قَسَّمَهُمْ أَشْبَاحًا، ثُمَّ جَعَلَهُمْ طَرَائِقَ، ثُمَّ أَشْخَاصًا

١ سورة الشورى – الاية ٥١

نُورِيَّةً، فَجَعَلَهُمْ حَسَّاسِينَ دَرَّاكِينَ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُمْ كَمِثْلِهِمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى نَفْسِهِ فَأَجَابُوهُ فَغَيَّرَ عَلَيْهِمُ الظُّهُورَ فَأَجَابُوهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ سَبْعَ دَفَعَاتٍ وَهُمْ يُجِيبُونَهُ، ثُمَّ سَطَحَ سَطْحًا ثَانِيًا، ثُمَّ قَسَّمَهُ أَظِلَّةً: ثُمَّ أَشْبَاحًا ثُمَّ طَرَائِقَ، ثُمَّ أَشْخَاصًا، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُمْ مِثْلُهُمْ فَأَقَرُّوا فَفَعَلَ ذَلِكَ سَبْعَ دَفَعَاتٍ كَمَا فَعَلَ بِأَهْلِ النُّورِ الْأَوَّلِ.

ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَالِثًا، وَرَابِعًا، وَخَامِسًا، وَسَادِسًا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى خَلْقِ النُّورِ السَّابِعِ، وَجَعَلَ فِيهِمُ الِاسْتِطَاعَةَ مُتَسَاوِيَةً مِثْلَمَا جَعَلَهَا فِي أَهْلِ النُّورِ الْأُولَى وَفِي أَهْلِ النُّورِ الثَّانِي، عَدْلًا مِنْهُ تَعَالَى: ثُمَّ قَسَّمَهُمْ أَظِلَّةً، ثُمَّ أَشْبَاحًا، ثُمَّ طَرَائِقَ، ثُمَّ أَشْخَاصًا، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُمْ مِثْلُهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى نَفْسِهِ فَأَجَابُوهُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[١].

وَالظُّهُورُ هُنَا: النُّزُولُ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ.

---

[١] سورة الاعراف – الاية ١٧٢

ثُمَّ غَيَّرَ عَلَيْهِمُ الظُّهُورَ، وَكَرَّرَ كَمَا فَعَلَ بِمَنْ تَقَدَّمَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: عِبَادِي! قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ أَنْ تَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ.

فَقَالُوا: وَقَدْ دَاخَلَهُمْ ضَعْفُ الْيَقِينِ: تَعَالَوْا نَجْتَمِعْ إِلَى رَبِّنَا نَسْأَلْهُ أَنْ لَا يُنْزِلَنَا إِلَى الْأَرْضِ، وَأَنْ يَتْرُكَنَا فِي سَمَائِهِ نَعْبُدُهُ، فَلِذَلِكَ صَارَتِ النَّقْلَةُ صَعْبَةً.

فَقَالُوا: إِلَهَنَا! لَا تُهْبِطْنَا إِلَى الْأَرْضِ وَاتْرُكْنَا فِي السَّمَاءِ.

فَقَالَ لَهُمْ: عَصَيْتُمُونِي بِرَدِّكُمْ عَلَيَّ قَوْلِي، فَلَوْ قُلْتُمْ: "إِلَهَنَا لَكَ الْمَشِيئَةُ وَالْقُدْرَةُ تَفْعَلُ بِنَا مَا تَشَاءُ" لَكُنْتُ شَكَرْتُ ذَلِكَ فِعْلَكُمْ[١].

---

١ ذَلِكَ الْفِعْلَ لَكُمْ

"صُورَةُ السَّطْحِ"

	أظلة	أشباح	طرائق	أشخاص
١	ص	= = / = =	٧٧	٥ ٥ ٥ ٥ / ٥ ٥ ٥ ٥ / ٥ ٥ ٥ ٥
٢	ص	= = / = =	٤٤٤	٥ ٥ ٥ ٥ / ٥ ٥ ٥ ٥ / ٥ ٥ ٥ ٥
٣	ص	= ١١١ = / = مم	٤٤٤ / ٤٤٤	٥ ٥ ٥
٤	ص	٥ ≡ =	٤ ٤ ٤ / م م م	٥ ٥ ٥ / ٥ ٥ ٥
٥	ص	١ب١ I ٤ =	س / صح -	٥ ٥ ٥ / ٥ ٥ ٥
٦	ص	١١١ بـ =	٤ ٤ ٤ / ٤ ٤ ٤	٥ ٥ ٥ / ٥ ٥ ٥
٧	ص	= = / = =	٤ ٤ ٤ / ص صه صه	٥ ٥ ٥ / ٥ ٥ ٥

لَكِنْ قَدْ وَجَبَ عَلَيْكُمْ بِرَدِّكُمْ عَلَيَّ أَنْ تَهْبِطُوا إِلَى الْأَرْضِ وَأَخْلُقَ لَكُمُ الْأَبْدَانَ الطِّينِيَّةَ اللَّحْمِيَّةَ الدَّمَوِيَّةَ، وَأَحْتَجِبَ فِيمَا أَخْلُقُ لَكُمْ فَمَنْ عَرَفَنِي هُنَا عَرَفَنِي هُنَاكَ.

فَقَالُوا: إِذَا خَلَقْتَ لَنَا أَجْسَامًا وَحَجَبْتَنَا بِهَا، وَاحْتَجَبْتَ بِهَا، وَظَهَرْتَ لَنَا عَرَفْنَاكَ وَوَجَدْنَاكَ، وَلَا نَعْصِيكَ كَمَا عَصَاكَ مَنْ تَقَدَّمَنَا مِنَ الْعَوَالِمِ الَّذِينَ أَهْبَطْتَهُمْ إِلَيْهَا، دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ثُمَّ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[1].

وَآدَمُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الْحِجَابُ الَّذِي احْتَجَبَ بِهِ عَنْهُمْ لَمَّا أَهْبَطَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ

[1] سورة البقرة – الاية ٣١-٣٢

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[١] وَالْحِجَابُ الْآدَمِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى الطَّبِيعَةِ.

وَأَصْلُ الْآدَمِيَّةِ[٢] مِنَ التُّرَابِ بَدْءًا وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

فَلَمَّا ظَهَرَ لَهُمْ تَعَالَى بِالْحِجَابِ الْبَشَرِيِّ الْآدَمِيِّ كَصُوَرِهِمْ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى نَفْسِهِ فَبَعْضُهُمْ عَرَفَ، وَبَعْضٌ أَنْكَرَ الْمَعْرِفَةَ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ بِطَرِيقِ الْإِقْرَارِ.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[٣].
أَيْ: أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ بِطَرِيقِ الْهُدَى.

وَإِنَّمَا أَضَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ أَنِ اسْتَحَقَّ الضَّلَالَةَ، وَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا فِي بَابِ إِثْبَاتِ الْعَدْلِ، فَأَبْلَسُوا[٤] وَكُلُّ إِنْسَانٍ فَإِبْلِيسُهُ الْمِزَاجُ وَالْكَذِبُ الَّذِي فِيهِ، وَلَكِنَّهُ مُتَفَاضِلٌ لِأَنَّ هَذَا مُشْتَرَكٌ فِيهِ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ.

وَلَكِنَّهُ مَعَ الْكُفْرِ يَسْتَحِيلُ النُّورُ فَيَصِيرُ ظُلْمَةً لِغَلَبَةِ مِزَاجِ الْكَدَرِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَحَدَ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ بِطَرِيقِ الْهُدَى فَاسْتَحَالَ مِزَاجُهُ فَصَارَ إِبْلِيسًا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

---
١ سورة البقرة – الاية ٣٣
٢ الْآدَمِيِّ
٣ سورة الجاثية – الاية ٢٣
٤ فَأَبْلَسَهُ

مُمْتَزِجًا غَيْرَ مُسْتَحِيلٍ، لِأَنَّهُم أَقَرُّوا فَأَمِنُوا مِنَ الِاسْتِحَالَةِ، وَهُوَ يَتَفَاضَلُ فِيهِمْ بِحَسَبِ الِاسْتِحْقَاقِ.

وَإِنَّمَا تَكْرِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِقُبْحِ أَعْمَالِهِمْ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْمَلُ فِي بَعْضِ قُمُصِهِ عَمَلًا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُكَرَّ فِي قَمِيصٍ أَشْرَفَ مِنْ ذَلِكَ الْقَمِيصِ، وَأَوْسَعَ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً، وَأَكْثَرَ مَالًا وَجَاهًا وَعَبِيدًا؟ فَيُكَرُّ فِي ذَلِكَ الْقَمِيصِ، فَيَعْرِضُ لَهُ الْمِزَاجُ الَّذِي فِيهِ الشُّحُّ وَالْبُخْلُ عَلَى إِخْوَانِهِ بِدُنْيَاهُ، فَيَسْتَحِقُّ بِأَنْ يُكَرَّ فِي قَمِيصٍ ذَلِيلٍ فَقِيرٍ، مُظْلِمٍ، مُكَرَّرٍ، وَرُبَّمَا حُجِبَ فِيهِ عَنِ الْمَعْرِفَةِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

وَإِنَّمَا تَكْرِيرُهُ بِاسْتِحْقَاقِهِ مَا فَعَلَهُ مَعَ إِخْوَانِهِ، وَثَوَابُهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَفْعَلُهُ مَعَهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وَمَا يَحُثُّ نَفْسَهُ عَلَى الْعِلْمِ لِأَنَّ النَّفْسَ الْجَاهِلَةَ كَدِرَةٌ، وَالْعَالِمَةَ شَفَّافَةٌ مُضِيئَةٌ وَالْمُؤْمِنُونَ يَرْتَقُونَ إِلَى الصَّفَاءِ وَهُوَ عَالَمُ الْعَقْلِ، وَالْكَافِرُونَ يُرَدُّونَ فِي الْمُرَكَّبَاتِ وَيُمْرَقُونَ فِي الْقَشَاشِ وَالدُّرُّ دَوْرٌ خَالِدُونَ[2].

[1] سورة الحشر – الاية ٩
[2] وَهُوَ الدُّرُّ دَوْرٌ خَالِدُونَ فِي ذَلِكَ

وَنَحْنُ نُبَيِّنُ ذَلِكَ فِي [بَابِ نِهَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ] إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى هَاهُنَا ثَبَّتَنَا وَإِيَّاكُمْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، إِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

وَفِي هَذِهِ الدَّارِ كَانَتِ الدَّعْوَةُ الَّتِي جَرَتْ فِي الْعَالَمِ، وَالِامْتِحَانُ هَاهُنَا وَاقِعٌ فِي الْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، وَالْجَزَاءِ وَالْوَفَاءِ وَعَالَمُ الْعَقْلِ هُوَ نِهَايَةُ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ.

وَقَدْ رُوِيَتْ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ غَيْرَ مَا شَرَحْنَاهُ رَوَاهَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ شُعْبَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مُصَنَّفَاتِهِ وَحَكَاهَا كَمَا جَاءَتْ وَنَقَلَهَا عَمَّنْ سَمِعَهَا مِنْهُ.

وَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا أَثْبَتُ فِي الْعَدْلِ، وَأَوْضَحُ فِي حُجَّةِ الْعَقْلِ.

وَهَذَا شَرْحُ هَذَا الْعَالِمِ: عَلَى أَنَّهُ مَضَى مِنَ الْعَوَالِمِ(١).

وَكَمْ مَضَى عَلَى مَمَرِّ الدُّهُورِ وَالْأَحْقَابِ، وَالْأَدْوَارِ وَالْأَكْوَارِ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قِدَمِ الْبَارِي تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعِظَمِ مُلْكِهِ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا قَالَهُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَزَّ عِزُّهُ وَقَدْ سَأَلَهُ بَشَّارُ

الدُّرُّ الدَّوْرُ: مَوْضِعٌ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ يَجِيشُ مَاؤُهُ لَا تَكَادُ تَسْلَمُ مِنْهُ السَّفِينَةُ، لِسَانُ الْعَرَبِ

١ إِنَّهُ عَالَمٌ مَضَى مِنَ الْعَوَالِمِ

الشَّعِيرِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ لَهُ: يَا مَوْلَايَ! هَلْ كَانَ آدَمُ قَبْلَ آدَمِنَا، وَعَالَمٌ قَبْلَ عَالَمِنَا؟

فَقَالَ: "نَعَمْ! آدَمُ وَآدَمُ حَتَّى عَدَّ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ آدَمَ".

قَالَ: وَسَأَلَهُ أَيْضًا: إِذَا جَعَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ، هَلْ يَخْلُقُ اللَّهُ خَلْقًا غَيْرَهُمْ؟

فَقَالَ عَزَّ عَزُّهُ: "يَا بَشَّارُ تُرِيدُ أَنْ تُعَطِّلَ مُلْكَهُ إِنَّ رَبَّكَ لَمْ يَزَلْ خَالِقًا بِلَا نِهَايَةٍ".

وَهَذَا خَبَرٌ أَحْسَنُ، مِمَّا أَوْرَدَهُ أَيْضًا فِي كِتَابِ حَقَائِقِ أَسْرَارِ الدِّينِ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَقِيقِيُّ عَنْ أَبِيهِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ مَوْلَايَ جَعْفَرَ الصَّادِقَ عَزَّ عَزُّهُ كَمْ مَضَى مِنَ الدُّنْيَا؟

قَالَ: "مَضَى مِنَ الدُّنْيَا أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ دَوْرٍ، وَكُلُّ دَوْرٍ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ كَوْرٍ، وَكُلُّ كَوْرٍ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ حُقْبَةٍ[1] وَكُلُّ حُقْبَةٍ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ سَنَةٍ، وَفِي كُلِّ حُقْبَةٍ سَبْعَةُ آدَمَ[2] وَفِي كُلِّ آدَمَ: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ".

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ شُعْبَةَ عَلَيْهِ السَلَامُ فِي كِتَابِ حَقَائِقِ أَسْرَارِ الدِّينِ مِنْ قَوْلِ الْعَالِمِ عَزَّ عِزُّهُ كِتَابُ الْهَفْتِ، وَهُوَ رِوَايَةُ الْمُفَضَّلِ مِنْهُ السَلامُ.

طَبَائِعُ الْإِنْسَانِ: [الْمِرَّةُ، وَالدَّمُ، وَالرِّيحُ، وَالْبَلْغَمُ].
وَدَعَائِمُهُ: [الْعَقْلُ، وَالْفِطْنَةُ، وَالْفَهْمُ وَالْحِفْظُ وَالْعِلْمُ].
وَأَرْكَانُهُ: [النَّارُ، وَالنُّورُ، وَالْهَوَاءُ، وَالْمَاءُ].

وَصُورَتُهُ: [طِينِيَّةٌ فَهُوَ يَنْظُرُ بِالنُّورِ، وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِالنَّارِ، وَيَشُمُّ وَيَسْمَعُ وَيَتَحَرَّكُ بِالرِّيحِ، وَيَجِدُ الطَّعْمَ وَالذَّوْقَ بِالْمَاءِ].

---

[1] حُقْبٍ
[2] آوَادِمَ

فَإِذَا صَفَا الْمُؤْمِنُ رَقَّتْ رُوحُهُ إِلَى عَالَمِهَا الَّذِي مِنْهُ بَدَتْ.
وَيَعُودُ التُّرَابُ إِلَى التُّرَابِ، وَكُلُّ عُنْصُرٍ إِلَى عُنْصُرِهِ.

وَقَالَ: مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ[١] فِي هَذَا الْكِتَابِ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ: لَقِيتُهُ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ بِالْمَوْصِلِ، عَنِ مُحَمَّدُ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ الْحَرِيزِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَى الْمَكْنُونِ[٢] عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَزَّ عَزُّهُمَا وَقَدْ سَأَلُوهُمَا عَنِ الْكُرْسِيِّ وَصِفَةِ الْعَرْشِ؟

وَهُوَ كِتَابٌ مُتَرْجَمٌ بِكِتَابِ: [الْكُرْسِيُّ وَالْقَلْبُ وَالْقُرْآنُ] اخْتَصَرْنَا مِنْ مَوْقِعِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ:

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَرْكَانَهُ أَرْبَعَةً: [عِلْمٌ، وَقُدْرَةٌ وَمَشِيئَةٌ، وَإِرَادَةٌ] وَأَسْكَنَ فِيهِمُ الْأَرْوَاحَ الْأَرْبَعَةَ: [رُوحَ الْقُدُسِ، وَرُوحَ الْإِيمَانِ وَرُوحَ ذِي الْمَعَارِجِ، وَرُوحَ الْأَمْرِ].

فَبَاطِنُ أَرْكَانِهِ الْأَرْوَاحُ فَجَمِيعُهُمْ بِالْأَرْضِ، وَغَرَسَ الْأَرْكَانَ عَلَى الْمَاءِ الْمُبِينِ الَّذِي خَلَقَهُ بِلَا شَبَحٍ، بِالْقُدْرَةِ، وَلَا جَدَّ، وَلَا حُدُودَ قَائِمَةِ قِيَامًا غَيْرَ مَعْدُومٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

---
[١] أَوْرَدَهُ
[٢] بْنِ يَحْيَى الْمَكْفُوفِ

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[١] وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ بَدَا الْهَوَاءُ بِالْبَدَاءِ، وَالْبَدَاءُ مِنَ الْمَشِيئَةِ، فَأَظَلَّ الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ ظِلًّا، ثُمَّ أَنْشَأَ مِنْ ذَلِكَ الظِّلِّ ظُلْمَةً، وَالظُّلْمَةُ مُظْلِمَةٌ.

وَقَالَ: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[٢] ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ النُّورَ الْأَوَّلَ وَالنَّارُ فَحْجُبُ النُّورَ بِالْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ الْمَاءَ فَحْجُبُ بِهِ الرِّيحُ، ثُمَّ خَلَقَ الطِّينَ فَحْجُبُ بِهِ الْمَاءَ.

فَهَذِهِ الطَّرَائِقُ وَالْقِدَدُ[٣] الَّتِي تَتَرَكَّبُ مِنْهَا الْأَجْسَامُ اللَّحْمِيَّةُ الدَّمَوِيَّةُ.
وَالنُّورُ خُلِقَ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ مُصَوَّرِينَ.
وَالْمَاءُ خُلِقَ مِنْهُ الْإِنْسُ مُصَوَّرِينَ.
وَالنَّارُ خُلِقَ مِنْهُ الْجَانُّ مُصَوَّرِينَ.

وَالطِّينُ صُورَةُ آدَمَ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ أَنَّ هَذَا الِاسْمَ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ، أَحَدُهُمَا: خَلْقُ آدَمَ: يَعْنِي هَذِهِ الْأَجْسَامَ الطَّبِيعِيَّةَ مِنَ النُّورِ، وَالنَّارِ، وَالرِّيحِ، وَالْمَاءِ، وَالطِّينِ.

---

[١] سورة الانبياء – الاية ٣٠
[٢] سورة الانعام – الاية ١
[٣] الْقِدَّةُ: الْفِرْقَةُ مِنَ النَّاسِ تَخْتَلِفُ أَهْوَاؤُهُمْ. يُقَالُ: كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا أَيْ فِرَقًا مُخْتَلِفَةَ الْأَهْوَاءِ

فَصَارَ الْإِنْسَانُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِالنَّارِ.
وَيُجَامِعُ وَيَشُمُّ بِالرِّيحِ.
وَيَجِدُ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ بِالْمَاءِ.
وَيُبْصِرُ وَيَعْمَلُ بِالنُّورِ.

فَلَوْلَا النَّارُ الَّتِي فِي مَعِدَتِهِ مَا طَبَخَتْ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا
وَلَوْلَا الرِّيحُ مَا الْتَهَبَتْ نَارُ الْمَعِدَةِ.
وَلَوْلَا النُّورُ مَا أَبْصَرَ وَلَا عَقَلَ.
وَلَوْلَا الرِّيحُ[١] لَمَا ذَهَبَ وَلَا جَاءَ وَلَا تَحَرَّكَ.

فَإِذَا فُرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ رُدَّتِ الرِّيحُ، وَالنَّارُ وَالنُّورُ وَالْمَاءُ إِلَى الْقِدَدِ الْأُولَى وَنَزَلَ الْجِسْمُ إِلَى الْأَرْضِ لِأَنَّهُ مِنْهَا.

وَإِنْ فَسَدَ الْجِسْمُ فِي الدُّنْيَا فَلِأَنَّ الرِّيحَ تَنْسِفُ الْمَاءَ فَيَيْبَسُ الطِّينُ وَيَصِيرُ رُفَاتًا، وَيُرَدُّ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى جَوْهَرِهِ الْأَوَّلِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ فَهُوَ نُورٌ مُؤَيَّدٌ بِالْعَقْلِ.

---

١ الْمَاءُ

وَمَا كَانَ مِنْ نَفْسِ الْكَافِرِ فَهُوَ ظُلْمَةٌ مُؤَيَّدَةٌ بِالْكُفْرِ لِاسْتِحَالَتِهَا.

وَثَانِيهِمَا: خَلْقُ آدَمَ: يَعْنِي أَهْلَ الْمَرَاتِبِ مِنَ الْأَنْوَارِ الَّتِي لَمْ يُدَاخِلْهَا شَكٌّ، وَهَذَا الْجَدْوَلُ الْمَوْضُوعُ مَوْضُوعُ مَعْرِفَةِ أَعْدَادِ الْمَرَاتِبِ وَأَهْلِهَا، وَهُوَ فِي كِتَابِ الْمَرَاتِبِ وَالدَّرَجِ، وَلَقَدْ أَوْرَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِهِ حَقَائِقِ أَسْرَارِ الدِّينِ.

وَهُوَ جَدْوَلٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ نَخْلٍ، وَرُمَّانٍ، وَزَيْتُونٍ وَصِيَامٍ، وَصَلَاةٍ، وَحَجٍّ، وَزَكَاةٍ، وَجِهَادٍ، وَمَشَارِقَ، وَمَغَارِبَ، وَبِحَارٍ، وَجِبَالٍ، وَبُيُوتٍ وَمَسَاجِدَ، وَصَوَامِعَ، وَبِيَعٍ، وَنَحْلٍ، وَطَيْرٍ، وَأَنْعَامٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ إِنَّمَا هِيَ أَشْخَاصٌ أَمَرَ بِمَعْرِفَتِهَا وَطَاعَتِهَا، لَا نَخْلٌ، وَلَا رُمَّانٌ، وَلَا جِبَالٌ، وَلَا شَجَرٌ، وَلَا دَوَابُّ، وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فَرَائِضَهُ فِيمَا هُوَ زَائِلٌ حَائِلٌ، وَمُحَالٌ أَنْ يَجْعَلَ أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ بِهَا.
وَهَذِهِ هِيَ صُورَةُ جَدْوَلِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ النُّورَانِيِّ:

جَدْوَلُ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ النُّورَانِيِّ

اَلْأَبْوَابُ ٤٠٠	اَلْأَسْمَاءُ ٣٠	اَلْحُجُبُ ٤٠	اَلْآيَاتُ ٥٠	اَلْأَنْوَارُ ٧٠
	اَلشُّمُوسُ ٧٥	اَلْأَفْلَاكُ ٧٥	اَلْغَمَامُ ٦٠	
اَلْأَيْتَامُ ٥٠٠	اَلْمَشَارِقُ ٥٠	اَلْمَغَارِبُ ٧٠	اَلْأَقْمَارُ ٧٠	اَلْأَهِلَّةُ ٧٥
	اَلنُّجُوْمُ ٧٠	اَلرُّعُودُ ٨٠	اَلْبُرُوقُ ٨٠	
اَلنُّقَبَاءُ ٦٠٠	اَلصَّلَاةِ ٧٠	اِلْزَكَاةِ ٧٠	اَلْحَجَّ ٨٠	اَلصِّيَامِ ٧٥
	اَلْهِجْرَةَ ٩٠	اَلْجِهَادَ ٩٥	اَلدُّعَاءَ ١٢٠	
اَلنُّجَبَاءُ ٧٠٠	اَلْجِبَالِ ٧٠	اَلْمُعصِرَات ٨٠	اَلْبِحَارُ ٩٠	اَلْأَنْهَارُ ١٠٠
	اَلرِّيَاحِ ١١٠	اَلسَّحَابِ ١٢٠	اَلصَّوَاعِقُ ١٣٠	
اَلْمُخْتَصُّونَ ٨٠٠	اَللَّيْلِ ٩٠	اَلنَّهَارَ ١٠٠	اَلْغَدَاةِ ١٢٠	اَلْعَشَاءِ ١٢٠
	اَلْغُدُوَّ ١٣٠	اَلْآصَالُ ١١٠	اَلسُّبُلَ ١٣٠	

المُخْلِصونَ ٩٠٠	اَلْأَنْعَامُ ١٠٠	اَلدَّوَابُّ ١١٠	اَلْإِبلِ ١٢٠	اَلنَّحْلُ ١٣٠
	اَلطَّيْرُ ١٤٠	اَلصَّوَامِعُ ١٤٥	اَلْبَيْعَ ١٥٥	
اَلْمُمْتَحِنُونَ ١١٠٠	اَلْبُيُوتَ ١٣٠	اَلْمَسَاجِدُ ١٤٠	اَلْأَعْنَابُ ١٥٠	اَلنَّخْلَ ١٥٠
	الرُمانَّ ١٧٠	اَلزَّيْتُونَ ١٧٠	اَلتِّينُ ١٩٠	

وَهَذَا جَدْوَلُ الْعَالَمِ الصَّغِيرِ الَّذِينَ أَكَلُوا، وَشَرِبُوا، وَتَوَالَدُوا.

وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

الْمُقَرِّبونَ ١٤٠٠٠	الْكُرُوبِيُّونْ ١٥٠٠٠	الرُّوحَانِيُّونَ ١٦٠٠٠
الْمَقَدِسُونَ ١٧٠٠٠	السَّائِحُونَ ١٨٠٠٠	الْمُسْتَمِعُونَ ١٩٠٠٠
اللَّاحِقُونَ ٢٠٠٠٠		

وَإِنَّمَا جَاءَ أَهْلُ الْمَرَاتِبِ وَالدَّرَجِ بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ لِحَاجَةِ الْمَخْلُوقِينَ، وَإِلَّا فَأَسْمَاؤُهُمْ غَيْرُ مُتَبَايِنَةٍ، وَكُلُّهَا وَاحِدٌ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الصَّادِقِ عَزَّ عِزُّهُ: "إِذَا ارْتَقَى الْمُؤْمِنُ[١] إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى فَإِنَّمَا يُدْعَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِـ عَبْدِ اللَّهِ لَا بِغَيْرِهِ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا مَوْلَايَ! فَلِمَ اخْتَلَفَتْ أَسْمَاؤُهُمْ هَاهُنَا؟

فَقَالَ: "لِحَاجَتِكُمْ إِلَيْهِمْ".

وَهَذَا شَرْحُ مَا ذَكَرْنَاهُ تَقْلِيدًا، وَقَدْ ثَبَتَتِ الْأُصُولُ عَلَى النَّظَرِ، وَاللَّهُ الْمُعِينُ وَحْدَهُ.

[١] الْمُؤْمِنُونَ

"الْبَابُ الْعَاشِرُ"

"مَعْرِفَةُ إِبْلِيسَ مِمَّ خُلِقَ؟"

"وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا الِاسْمِ وَاسْمِ الشَّيْطَانِ؟"

إِبْلِيسُ: اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الِاسْمَ يَقَعُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ:

فَإِبْلِيسُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ مَلْعُونٌ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَحَدَ وَأَنْكَرَ، وَكَفَرَ، لَمَّا ظَهَرَ الْبَارِي بِصُورَةٍ بَشَرِيَّةٍ عِنْدَ هُبُوطِ الْعَالَمِ إِلَى الْأَرْضِ.

وَكَانَ إِنْكَارُهُ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ بِالْهُدَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[١] أَيْ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ، وَذَلِكَ لَمَّا ظَهَرَ بِالْحِجَابِ الْبَشَرِيِّ قَالَ الْمَلْعُونُ: كَيْفَ لَمْ تَظْهَرْ بِي كَمَا ظَهَرْتَ بِهِ؟

أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٢] وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ إِبْلِيسَ خُلِقَ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَلَكِنَّ الرِّوَايَةَ الْأُولَى أَثْبَتُ فِي الْعَدْلِ، وَأَوْضَحُ فِي الْعَقْلِ، لِأَنَّهُ كَانَ نُورَانِيًّا مِنْ جُمْلَةِ الَّذِينَ هَبَطُوا إِلَى

[١] سورة الجاثية – الاية ٢٣
[٢] سورة الاعراف – الاية ١٢

الْأَرْضِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[١] وَالْجِنُّ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَّهُ بِإِنْكَارِهِ اسْتَحَالَ ظُلْمَةً.

وَرَوَاهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ بَطِيطَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ الْمُقْنِعِ أَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ الْأَنْظَارَ فَأَنْظَرَهُ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، وَذَلِكَ جَزَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِقْرَارِهِ.

وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ فِي كُلِّ ظُهُورِ قُبَّةٍ أَنْ يَظْهَرَ فِيهَا بِقُبَّةٍ، وَمَرَاتِبَ، وَدَرَجٍ فَيَكُونَ لَهُ بَابٌ فِي الْكُفْرِ، وَنَقِيبٌ فِي الْكُفْرِ، وَنَجِيبٌ فِي الْكُفْرِ.

وَاسْتِطَاعَتُهُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ هِيَ بَاقِيَةٌ مَعَهُ لَمْ يَسْلُبْهُ اللَّهُ إِيَّاهَا لِأَنَّهُ سَأَلَهُ الْأَنْظَارَ فَأَجَابَهُ، أَلَا تَرَى أَنَّ إِبْلِيسَ لَهُ قُدْرَةٌ يُظْهِرُهَا وَيُحْدِثُ بِهَا رَهْطَهُ وَأَصْحَابَهُ؟

أَلَا تَرَى إِلَى الْخَبَرِ الْمَرْوِيِّ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ النَّاسُ أَنَّ سَكَدَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَفَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَقَالَ: يَا سَارِيَةُ أَوْيِ خَيْلَكَ إِلَى الْجَبَلِ[٢] وَإِقْرَارُ أُولَئِكَ الْحَيِّ أَنَّهُمْ سَمِعُوا صَوْتَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ الْمَوْقِعِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؟

---

[١] سورة الكهف – الاية ٥٠
[٢] وَهُوَ جَبَلُ نَهَاوَنْدَ
وسكد هو عمر بن الخطاب عليه لعنة رب السبع الشداد

وَمِثْلُهُ خَبَرُهُ مَعَ النِّيلِ وَقَدْ نَقَصَ حَتَّى شَكَا النَّاسُ إِلَيْهِ، فَكَتَبَ عَلَى خِرْقَةٍ مِنَ الْحِجَارَةِ وَرَمَى بِهَا فِي الْمَاءِ فَجَرَى لِوَقْتِهِ، وَهَلْ يَعْمَلُ جَمِيعَ ذَلِكَ بِالِاسْتِطَاعَةِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ بِالْأَصْلِ.

وَعَنْهُ: قَالَ ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١] ثُمَّ اسْتَثْنَى فَقَالَ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٢] فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مُبَيِّنًا عَجْزَهُ عَنْ عِبَادِهِ الْمُخْلَصِينَ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[٣] فَأَخْبَرَ وَبَيَّنَ بِقَوْلِهِ إِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُغْوِيَهُمْ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنَّهَا بَاقِيَةٌ مَعَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[٤].

بَيَّنَ بِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّ مَعَهُ اسْتِطَاعَةً، وَأَنَّ لَهُ خَيْلًا وَرِجَالًا، وَكَذَلِكَ كَانَ فِعْلُ سَكَدَ: أَخَذَ الْأَمْوَالَ، وَأَمَرَ وَنَهَى وَأَوْرَدَهُمُ الْمَهَالِكَ، وَأَضَلَّهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُ، وَمِنْ حِزْبِهِ، وَلَفِيفِهِ، وَجُنُودِهِ، وَخَيْلِهِ، وَرِجَالِهِ[٥].

---

[١] سورة ص – الاية ٨٢
[٢] سورة ص – الاية ٨٣
[٣] سورة الحجر – الاية ٤٢
[٤] سورة الاسراء – الاية ٦٤
[٥] وَرَجْلِهِ

الشَّيْطَانُ: وَأَمَّا الشَّيْطَانُ فَهُوَ اسْمٌ يَقَعُ عَلَى كُلِّ بَارِزٍ فِي الْكُفْرِ وَهَذَا الِاسْمُ مَأْخُوذٌ مِنَ الطُّولِ وَالنِّهَايَةِ فِي الشَّيْءِ، أَلَا تَرَى إِذَا قِيلَ: "فُلَانًا حَاذِقٌ فِي صِنَاعَتِهِ" قِيلَ عَلَى سَبِيلِ الْمِزَاحِ: "مَا هُوَ إِلَّا شَيْطَانٌ".

وَالشَّيْطَانُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ هُوَ الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الْأَسْوَدُ، وَهُوَ الشَّيْظَمُ أَيْضًا، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّطَا الَّذِي هُوَ حَبَلُ الْبِئْرِ الْبَعِيدَةِ، وَكُلُّ إِبْلِيسَ هُوَ شَيْطَانٌ، وَلَيْسَ كُلُّ شَيْطَانٍ إِبْلِيسَ، لِأَنَّ الْأَبَالِسَةَ اسْتَحَالُوا ظُلْمَةً وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ أَسْبَابِ الْهُدَى إِلَّا جَحَدُوهُ وَأَنْكَرُوهُ، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِمْ.

وَالشَّيَاطِينُ قَدْ بَقَى لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ يَقَعُ بِهِمُ الْحَمْدُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، وَإِبْلِيسُ لَا يَقَعُ بِهِ حَمْدٌ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾[١] فَهَلْ يَحْفَظُ اللَّهُ إِلَّا مُقِرًّا لَا جَاحِدًا؟

وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّ مُرَادَ الْبَارِي بِقَوْلِهِ: [حَافِظِينَ] يَعْنِي: حِفْظَ عَدَدِهِمْ، فَإِنَّ الْبَارِيَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُخْبِرُ إِلَّا بِمَا فِيهِ فَائِدَةٌ، وَهَذَا لَيْسَ بِهِ فَائِدَةٌ.

---

[١] سورة الانبياء – الاية ٨٢

وَإِنَّ مَنْ يَجْهَلُ أَنَّ الْبَارِيَ لَا يَعْلَمُ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ كَافِرٌ، بَلْ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهُمْ مَحْمُودُونَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ وَأَمَّا إِبْلِيسُ الْمَنْعُوتُ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ وَاحِدٌ بِعَيْنِهِ يَظْهَرُ بِظُهُورِ كُلِّ قُبَّةٍ، وَقَدْ شَرَحْنَاهُ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ.

"الْمَعْنَى الْآخَرُ"

وَأَمَّا الْمَعْنَى الْآخَرُ، فَهُوَ أَنَّ كُلَّ مِزَاجٍ كَدِرٍ هُوَ إِبْلِيسُ صَاحِبُهُ وَهَذَا مُشْتَرَكٌ فِيهِ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، لِأَنَّ الْمِزَاجَ قَدْ عَمَّ الْكُلَّ، فَهُمْ يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ بِحَسَبِ الِاسْتِحْقَاقِ.

أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ شَرِّ كَدَرِ الْمِزَاجِ وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ.

إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ.

"الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ"

"فِي مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الظُّهُورِ وَالْغَيْبَةِ"

اعْلَمْ، أَرْشَدَكَ اللَّهُ إِلَى الْهُدَى، أَنَّ الظُّهُورَ وَالْغَيْبَةَ إِذَا أَضَفْتَهُمَا إِلَى الْقِدَمِ فَلَا حَقِيقَةَ لَهُمَا، وَإِذَا أَضَفْتَهُمَا إِلَى الْحَدَثِ وَجَدْتَ الظُّهُورَ عَلَامَةَ وُجُودٍ، وَدَلِيلَ إِثْبَاتٍ عَدْلًا مِنَ الْبَارِي تَعَالَى، وَعَرَضًا دَاخِلًا عَلَى جَمِيعِ أَبْصَارِ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ، وَإِذَا رَأَوْا صُورَةً وَجِسْمًا بَالِيًا، وَقِيَامًا وَقُعُودًا، وَأَكْلًا وَشُرْبًا، وَزَوَاجًا وَأَوْلَادًا، وَحَرَكَةً وَسُكُونًا وَقَتْلًا وَمَوْتًا ثُمَّ هَذَا الْوَقْتُ لَسْنَا نَرَى فِيهِ ظُهُورًا.

وَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ عَزَّ عَزُّهُ: "إِنَّهُ لَا يَخْلُو كُلُّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ، وَوَقْتٍ وَأَوَانٍ، مِنْ مَعْنًى مَوْجُودٍ، وَظِلٍّ مَحْدُودٍ، وَبَابٍ مَقْصُودٍ".

وَهَذَا عَصْرٌ مَا نَجِدُ فِيهِ مِمَّا قَالَ الصَّادِقُ شَيْئًا!

تَفْسِيرُ ذَلِكَ: إِنَّمَا أَرَادَ الصَّادِقُ عَزَّ عَزُّهُ بِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّ الْخَلْقَ مَا دَامُوا فِي هَذِهِ الْأَجْسَامِ الْكَثِيفَةِ فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَهِيَ [مَعْنًى، وَظِلٌّ، وَبَابٌ] لِحَاجَتِهِمْ إِلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ عَرَّفْنَاكَ أَيْضًا أَنَّ الظُّهُورَ وَالْغَيْبَةَ لَيْسَا بِحَرَكَةٍ، وَانْتِقَالٍ يُخْلِي حَيِّزًا، وَيُشْغِلُ حَيِّزًا.

وَلَكِنَّهُ جَائِزَةٌ فِي دَلِيلِ الْعَقْلِ أَنَّهُ لَمَّا حَجَبَ أَبْصَارَنَا عَنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ أَرَانَا صُورَةً آكِلَةً، شَارِبَةً، بَالِيَةً، تَدْخُلُ عَلَيْهَا الْأَعْرَاضُ، وَهُوَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، فَكَذَلِكَ جَائِزٌ أَيْضًا أَنْ يَحْجُبَ أَبْصَارَنَا فَلَا يُرِينَا هَذَا الظُّهُورَ وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي الْحَقِيقَةِ.

وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ.

"الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ"

"فِي نِهَايَةِ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَإِلَامَ يَصِيرَانِ؟"

اعْلَمْ، أَلْهَمَكَ اللَّهُ الرُّشْدَ: أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُنْسَخُ نَسْخًا وَالْكَافِرَ يُمْسَخُ مَسْخًا.

فَالنَّسْخُ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَنَقُّلِ صُورَةِ الْإِنْسَانِ إِلَى صُورَةٍ مِثْلِهَا، لَا يَخْرُجُ عَنْ صُورَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ حَتَّى يَصْفُوَ وَيَرْتَقِيَ إِلَى عَالَمِ الْعَقْلِ وَهُوَ أَشْخَاصٌ حَاسَّةٌ دَرَّاكَةٌ فِي مَنَازِلِ النُّجُومِ الَّتِي تُرَى وَهِيَ غَيْرُ مُرَتَّبَةٍ [عَالَمُ الْعَقْلِ الَّذِي ذَكَرَهُ أَفْلَاطُونُ].

وَالْكَافِرُ يَرْكَبُ فِي الْمَرْكُوسَاتِ وَالْمَعْكُوسَاتِ وَالْمَذْبُوحَاتِ[١] وَسَائِرُ أَصْنَافِ السَّلْسَلَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[٢].

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَصْرِيُّ نَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ، فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِـ السَّبْعِينَ: بِأَنَّ السَّلْسَلَةَ وَهِيَ كُلُّ صِنْفٍ يَدْخُلُهُ يُرَدُّ فِيهِ سَبْعِينَ مَرَّةً.

---

[١] النَّسْخُ: انْتِقَالُ النَّفْسِ مِنْ بَدَنٍ إِنْسَانِيٍّ إِلَى بَدَنٍ إِنْسَانِيٍّ.
وَالْمَسْخُ: انْتِقَالُ النَّفْسِ مِنْ بَدَنِ الْإِنْسَانِ إِلَى بَدَنِ الْحَيَوَانِ.
وَالرَّكْسُ أَمِ الرَّجْسُ: الْعَمَلُ الْقَبِيحُ، الْعَكِيسَةُ: الْكَثِيرُ مِنَ الْإِبِلِ.

[٢] سورة الحاقة – الاية ٣٢

مِثَالُ ذَلِكَ: أَنْ يَدْخُلَ إِلَى صُورَةِ الْغَنَمِ، فَيُرَدَّ فِي ذُكْرَانِهَا، وَإِنَاثِهَا، وَصِغَارِهَا، وَكِبَارِهَا سَبْعِينَ مَرَّةً يَجْرِي عَلَيْهِ الذَّبْحُ، وَالْغَرْقُ، وَأَكْلُ السَّبُعِ، وَالْمَوْتُ.

ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى صُورَةِ الْمَاعِزِ، فَيُصِيبُهُ كَذَلِكَ وَالتَّنَقُّلُ فِي السَّلْسَلَةِ يُسَمَّى نَسْخًا وَكَذَلِكَ كُلُّ جِنْسٍ، إِلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي غَيْرِهِ فَيُسَمَّى مَسْخًا، ثُمَّ يُنْسَخُ فِيهَا[١] وَنِهَايَةُ ذَلِكَ إِلَى الدُّرِّ دَوْرٍ، وَهُوَ الْقَشَاشُ وَالرُّسُوخُ خَالِدِينَ فِي ذَلِكَ.

فَإِنِ اعْتَرَضَ عَلَيْنَا مُعْتَرِضٌ وَقَالَ: أَيُّ عَذَابٍ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا وَهُمْ يَجِدُونَ الْحَيَاةَ كُلَّهَا كَمَا يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ فِي أَكْلِهِ، وَشُرْبِهِ، وَنِكَاحِهِ، وَقَدْ سَقَطَ عَنْهَا الْغَمُّ[٢] الَّذِي هُوَ عَذَابُ الْإِنْسَانِ؟

الْجَوَابُ: إِنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْمَسُوخَاتِ تُكَرُّ فِي كُلِّ جِنْسٍ بِحَسَبِ اسْتِحْقَاقِهَا فَمِنْهَا مَا يَجِبُ عَلَيْهِ التَّكْرِيرُ فِي الْمَذْبُوحَاتِ أَكْثَرُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُتَوَلِّدِ مِنَ السِّبَاعِ وَالذِّئَابِ وَالْقُرُودِ، وَأَصْنَافِ ذَلِكَ، وَجَمِيعُ مَا فِي هَذَا الْعَالَمِ مِنْ حَيَوَانٍ يَجْرِي عَلَيْهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ.

---

١ فِيهِ
٢ الضَّمُّ

إِنَّ الْأَثْقَالَ الَّتِي تُحْمَلُ عَلَى الْجِمَالِ وَالْبِغَالِ، وَتَقْطَعُ السَّبَاسِبَ وَالْفَلَوَاتِ، أَلَيْسَتْ تُحِسُّ بِأَلَمِ ذَلِكَ؟ وَالْإِبِلُ، وَالْبَقَرُ، وَالْغَنَمُ، وَالْمَعْزُ، الَّذِي يَجْرِي عَلَيْهَا الذَّبْحُ، أَلَيْسَتْ تُحِسُّ أَيْضًا بِأَلَمِ ذَلِكَ ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى قِيَاسِ الْمَعْقُولِ فِي هَذَا وَنَقُولُ: أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ: أَنْ تَكُونَ فِي هَذَا الْقَمِيصِ النَّاطِقِ، الْحَسَّاسِ، الدَّرَّاكِ، أَوْ أَنْ تَكُونَ سَبُعًا، أَوْ بَهِيمَةً فِي الْفَلَا لَا حِسَّ لَهُ؟

غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ لَكَ: إِنَّ الرَّجُلَ الْجَاهِلَ لَا يَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ عَالِمًا لِأَنَّهُ قَدْ مُنِعَ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ، فَلَا يُحِسُّ بِحَلَاوَةِ الْعِلْمِ، وَقَدْ مُنِعَ هَذَا الْإِحْسَاسَ بِجَهْلِهِ، وَوَجَدَ لَهُ رَاحَةً فِي تَرْكِ الْعِلْمِ لِأَنَّهُ يُخْلِي فِكْرَهُ مِنَ التَّعَبِ بِهِ، وَالتَّفْكِيرِ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَلْتَذُّ بِالْمَأْكُولَاتِ، وَالْمَشْرُوبَاتِ، وَالْمَنْكُوحَاتِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا.

فَنَقُولُ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، الْعَالِمُ أَمِ الْجَاهِلُ؟ فَيُقَالُ: الْعَالِمُ.

فَإِذَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْعَالِمُ أَفْضَلَ مِنَ الْجَاهِلِ، وَجَبَ أَنْ تَكُونَ صُورَةُ الْإِنْسَانِ أَفْضَلَ مِنْ صُورَةِ السَّبُعِ، عَلَى أَنَّ السَّبُعَ لَا يَخْتَارُ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا لِجَهْلِهِ بِالْإِنْسَانِيَّةِ، وَلِذَلِكَ الْجَاهِلُ لَا يَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ عَالِمًا لِجَهْلِهِ بِالْعِلْمِ.

وَرَأَيْنَا الْإِنْسَانَ يَرَى السَّبُعَ فِي صُورَةِ الْبَهِيمَةِ فَيَحْتَالُ عَلَيْهِ وَيَصِيدُهُ، وَيَعْلَمُ مَا هَيْئَتُهُ وَمَا جِنْسُهُ، وَالسَّبُعُ لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ الْإِنْسَانُ، كَذَلِكَ الْعَالِمُ يَرَى الْجَاهِلَ كَأَنَّهُ بَهِيمَةٌ مُهْمَلَةٌ، وَنَفْسُهُ مُتَغَذِّيَةٌ بِحَلَاوَةِ الْعِلْمِ الَّذِي قَدْ مُنِعَهُ ذَلِكَ الْجَاهِلُ، وَيَرَى الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ وَجَمِيعَ مَا هُوَ فِيهِ بِعَيْنِ الْحَقِيقَةِ فَلَا يَحْفِلُ بِهَا، وَذَلِكَ الْجَاهِلُ لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ فِيهِ.

وَهَذَا قَوْلٌ وَاضِحٌ يَدُلُّ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْبَهِيمِيَّةِ.

أَلَا تَرَى إِلَى مَا تُضَافُ إِلَيْهِ صُورَةُ الْبَهِيمَةِ مِنَ التَّحَكُّمِ بِهَا وَالْأَكْلِ لَهَا يَتَحَكَّمُ بِهَا هَذَا الْحَيَوَانُ النَّاطِقُ وَيَحْتَالُ عَلَيْهَا: فَمِنْهَا مَا يُدِيرُ الدَّوَالِيبَ وَالرَّحَى وَمِنْهَا مَا يُعَمِّرُ الْأَرْضَ بِالْحَرْثِ، وَمِنْهَا مَا تُحْمَلُ عَلَيْهِ الْأَثْقَالُ، وَمِنْهَا مَا يُرْكَبُ وَمِنْهَا يُخَلَّى لِلنِّتَاجِ بِدُونِ تَعَبٍ.

كُلُّ ذَلِكَ جَزَاءُ مَا اسْتَحَقَّتْهُ، وَيَجْرِي عَلَيْهَا فِي الْبَهِيمِيَّةِ مَا جَرَى عَلَيْهَا فِي الْإِنْسَانِيَّةِ مِنَ التَّعَبِ وَالتَّرَفُّهِ، وَيُقْتَصُّ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ إِلَى يَوْمِ ظُهُورِ الْقَائِمِ فَيَرْتَقِي الْمُؤْمِنُ إِلَى عَالَمِهِ، وَيُكَرُّ الْكَافِرُ فِي الدُّرِّ دَوْرٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْمُؤْمِنِ قَبْلَ أَنْ يَصْفُوَ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ قَمِيصًا هِيَ قُمُصُ التَّأْجِيلِ يُرَدُّ فِيهَا الْإِنْسَانُ عَارِفًا بِاللَّهِ، عَالِمًا بِهِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْقَمِيصُ الْأَخِيرُ، وَيَبْلُغُ ذَلِكَ مِنَ السِّنِينَ أَلْفًا وَسَبْعِينَ سَنَةً وَسَبْعَ سَاعَاتٍ ثُمَّ يَصْفُو. فَهَذِهِ نِهَايَةُ الْمُؤْمِنِ.

وَأَمَّا نِهَايَةُ الْكَافِرِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابِ حَقَائِقِ أَسْرَارِ الدِّينِ لِأَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ شُعْبَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْمَعْنَى شَرْحٌ طَوِيلٌ، اخْتَصَرْنَاهُ خَوْفَ الْإِطَالَةِ:

قَالَ الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ مِنْهُ السَّلامُ: سَأَلْتُ الْعَالِمَ عَزَّ عِزُّهُ عَنْ تَرْكِيبِ الْمُؤْمِنِ فِي النُّسُوخِيَّةِ وَتَرْكِيبِ الْكَافِرِ فِي الْمَسُوخِيَّةِ وَالْفَرْقِ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: "يَا مُفَضَّلُ الْمُؤْمِنُ يَرْكَبُ فِي النُّسُوخِيَّةِ عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ ثُمَّ لَا يَرْكَبُ فِي غَيْرِهَا، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ صُورَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ".

قَالَ: قُلْتُ: وَالْكَافِرُ مَا حَالُهُ فِي التَّرَاكِيبِ؟ قَالَ: "إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا رَكِبَ فِي الْمَسُوخِيَّةِ لَا يَرْكَبُ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَبَدًا، وَإِنَّمَا يَنْتَقِلُ إِلَى مَا هُوَ أَوْحَشُ وَأَذْعَرُ فَلَا يَزَالُ يَرْكَبُ فِي صُوَرِ السِّبَاعِ وَالْوُحُوشِ حَتَّى يُرَى فِي صُورَةٍ تَسْتَوْحِشُ مِنْهَا كُلُّ دَابَّةٍ".

أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنْ ذَلِكَ.

"الْبَابُ الثَّالِثَ عَشَرَ/ فِي مَعْرِفَةِ الْعَلَوِيِّينَ"

اعْلَمْ، أَرْشَدَكَ اللَّهُ إِلَى هِدَايَتِهِ أَنَّ الْعَلَوِيِّينَ، مَنْسُوبُونَ إِلَى ذَلِكَ الظُّهُورِ.

فَهُوَ بَيْتٌ اسْتَحَقَّ مِنَ اللَّهِ التَّشْرِيفَ فَظَهَرَ فِيهِ، وَاحْتَجَبَ بِهِ، وَاحْتَجَّ عَلَى الْخَلْقِ مِنْهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ الْأَوْلَادِ، وَالْأَضْدَادِ، وَالْأَنْدَادِ، عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَإِنَّمَا ذَلِكَ تَشْرِيفُ ظُهُورٍ وَمُجَازَاةٌ لَهُمْ عَنْ أَعْمَالٍ سَالِفَةٍ لِأَنَّهُمْ فِي الظَّاهِرِ مُعَظَّمُونَ وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَائِرِ الْأَضْدَادِ إِلَّا مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ شُعْبَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كِتَابِ حَقَائِقِ أَسْرَارِ الدِّينِ قَالَ: ذَكَرْتُ الْعَلَوِيِّينَ فِي مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ كَالْغَضِبِ: عَظَّمُوا الِاسْمَ، وَشَرِبُوا الْخَمْرَ.

إِنَّ اللَّهَ كَرَّمَ بَيْتًا ظَهَرَ فِيهِ وَنَسَبَهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لَا يَصْفُو أَحَدُكُمْ حَتَّى تَكُونَ لَهُ وِلَادَةٌ فِينَا.

"الْبَابُ الرَّابِعَ عَشَرَ"
"فِي نَوَادِرِ الْأَخْبَارِ فِي الِاسْمِ وَالْمُسَمَّى"
"وَمَا أَوْرَدْنَاهُ مَحْمُولًا عَلَى الْكَلَامِ"

قَالَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ شُعْبَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَاعَفَ اللَّهُ حَسَنَاتِهِ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِـ حَقَائِقِ أَسْرَارِ الدِّينِ: قَالَ السَّيِّدُ أَبُو شُعَيْبٍ مِنْهُ السَّلَامُ: "مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ بِحِجَابٍ، أَوْ صُورَةٍ، أَوْ مِثَالٍ، فَهُوَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، لِأَنَّ حِجَابَهُ غَيْرُهُ، وَصُورَتَهُ غَيْرُهُ، وَمِثَالَهُ غَيْرُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ مَوْجُودٌ، فَكَيْفَ وَحَّدَ اللَّهُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُهُ بِغَيْرِهِ؟".

وَعَنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَدَقَةَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ مِنْهُ السَّلَامُ قَالَ الصَّادِقُ عَزَّ عِزُّهُ: "مَنْ عَبَدَ مَا لَا يُرَى، فَقَدْ عَبَدَ مَجْهُولًا غَائِبًا وَمَنْ عَبَدَ مَا يُرَى، فَقَدْ عَبَدَ مَحْدُودًا مُعَايِنًا، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ غَيْرُ مُشَاهَدٍ، فَقَدْ أَحَالَهُ عَلَى عَدَمٍ، وَمَنْ قَالَ إِنَّ الْأَبْصَارَ تُشَاهِدُهُ، فَقَدْ رَأَى مِثْلَهُ، وَمَنْ عَبَدَ الِاسْمَ وَالْمَعْنَى فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ وَصَفَهُ بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِهِ، فَقَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ مُحْتَجِبٌ عَنْ خَلْقِهِ فَإِنَّمَا عَنَى غَيْرَهُ وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ ظَهَرَ لَهُمْ يَرَوْنَهُ، فَقَدْ عَايَنَهُ، وَمَنْ عَرَفَهُ

مِنْ جِهَةِ الْإِقْرَارِ، وَعَلِمَهُ مِنْ حَيْثُ ظَهَرَتِ الْمُعْجِزَاتُ فَنَفَى مَا رَأَى، وَأَثْبَتَ مَا عَلِمَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزُّهُ".

وعن مُحَمَّدِ الْكَرْخِيِّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ صَدَقَةَ، عَنِ الرِّضَا عَزَّ عِزُّهُ قَالَ: "إِنَّ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ بِأَبْصَارِكُمْ مِنَ الصُّورَةِ هُوَ اللَّهُ بِإِضَافَتِهِ إِلَى الْقُدْرَةِ"[1] فَإِذَا ظَهَرَ الْمُعْجِزُ مِنْ شَخْصٍ بَطَلَتِ الصُّورَةُ عَنْهُ، لِأَنَّ مَنْ تِلْكَ صُورَتُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُظْهِرَ الْمُعْجِزَ، وَمَنْ أَظْهَرَ الْمُعْجِزَ فَلَيْسَتْ تِلْكَ الصُّورَةُ صُورَتَهُ، بَلْ صُورَةُ الْإِنْسَانِ الْعَاجِزِ.

وَعَنْ أَبِي شُعَيْبٍ مِنْهُ السَلامُ عَنْ عُمَرَ بْنِ دُهَيْمٍ، قَالَ: قَالَ الْحَكِيمُ: "كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ، أَوْ مِنْ شَيْءٍ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ، فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْصُورًا، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مِنْ شَيْءٍ، فَقَدْ جَعَلَهُ مُحْدَثًا، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ، فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْمُولًا، وَاللَّهُ غَايَةٌ مِنْ غَايَاتٍ، وَالْمَعْنَى غَيْرُ الْغَايَةِ، تُوَحِّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ مَحْدُودِيَّةٍ، فَالذِّكْرُ لِلَّهِ[2] غَيْرُ اللَّهِ، وَاللَّهُ غَيْرُ أَسْمَائِهِ، وَكُلُّ اسْمٍ غَيْرِ اللَّهِ أَوْ صِفَةٍ، أَوْ مَعْنًى، أَوْ شَيْءٍ يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمٌ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ وَالْعِزَّةُ

[1] وَلَيْسَ هُوَ اللَّهُ بِإِضَافَتِهِ إِلَى الصُّورَةِ
[2] في نسخة اخرى: فَالذِّكْرُ اللَّهُ غَيْرُ اللَّهِ

لِلَّهِ وَالْكِبْرِيَاءُ لِلَّهِ؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[١] فَالْأَسْمَاءُ مُضَافَةٌ إِلَى اللَّهِ".

قَالَ الْحَكِيمُ: "هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ فَتَمَسَّكُوا بِهِ".

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنِ الرِّضَا عَزَّ عَزُّهُ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ الَّذِي عَايَنْتُمُوهُ بِأَبْصَارِكُمْ مِنَ الصُّورَةِ إِنَّمَا ظَهَرَ بِحَسَبِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، لِأَنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى خِلَافِكُمْ".

وَحَدَّثَنِي عَنْهُ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى الْكَرْخِيِّ، قَالَ: قَالَ الرِّضَا عَزَّ عَزُّهُ: "الْقَصْدُ لِلَّهِ بِالْحِجَابِ، لَا لِلْحِجَابِ بِاللَّهِ، لِأَنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ، وَلَا يُعْرَفُ اللَّهُ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ، وَالْحِجَابُ عِلَّةٌ فِي أَعْيُنِ الْخَلْقِ، لَوْ زَالَتْ مَا كَانُوا يَحْتَاجُونَ النَّظَرَ إِلَى الْحِجَابِ، بَلْ كَانُوا يَرَوْنَهُ كَالْقَمَرِ، وَلَا يُضَامُونَ مِنْ رُؤْيَتِهِ".

---
[١] سورة الاسراء – الاية ١١٠

وَعَنْهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ الصَّادِقُ عَزَّ عَزُّهُ: "إِنَّمَا يُتَوَجَّهُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ بِحِجَابِ اللَّهِ، فَإِذَا جَاءَ بِالْمُعْجِزِ بَطَلَ اعْتِقَادُ الْحِجَابِ، لِأَنَّ الْحِجَابَ ذُنُوبُ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ".

وَحَدَّثَ الْعَدَوِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَدَقَةَ الْعَنْبَرِيِّ، عَنِ الرِّضَا عَزَّ عَزُّهُ قَالَ: "نَحْنُ حُجُبُ اللَّهِ فَإِذَا أَتَيْنَا بِالْمُعْجِزِ زَالَتِ الْحُجُبُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عَزُّهُ".

وَبِالْإِسْنَادِ عَنِ الرِّضَا عَزَّ عَزُّهُ أَنَّهُ قَالَ: "أَوَّلُ شَيْءٍ كَلَّفَ اللَّهُ عِبَادَهُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: لَا تُنْكِرُونِي فِي أَيَّةِ صُورَةٍ ظَهَرْتُ، قَالَ: فَظَهَرَ بِمِثْلِ صُوَرِهِمْ فَأَنْكَرُوهُ".

وَحَدَّثَنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ يَرْفَعُهُ إِلَى الصَّادِقِ عَزَّ عَزُّهُ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يُغَيِّرُ وَلَا يَتَغَيَّرُ، وَيُصَوِّرُ وَلَا يَتَصَوَّرُ، وَإِنَّمَا التَّغْيِيرُ وَالتَّصْوِيرُ فِي أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ أَهْلِ الْكَدَرِ".

وَعَنْهُ، عَنِ الْعَدَوِيِّ يَرْفَعُهُ إِلَى الصَّادِقِ عَزَّ عَزُّهُ إِنَّهُ سُئِلَ عَنْ إِبْلِيسَ هَلْ يَتَغَيَّرُ فَيَتَصَوَّرُ لِلْخَلْقِ؟ فَقَالَ: "هُوَ أَعْجَزُ مِنْ ذَلِكَ" قِيلَ: فَيُغَيِّرُ أَعْيُنَ الْبَشَرِ حَتَّى تَرَاهُ كَمَا يُرِيدُ؟ قَالَ: "هُوَ أَضْعَفُ مِنْ ذَلِكَ" قِيلَ: كَيْفَ هُوَ؟ قَالَ: "أَعْيُنُ الْخَلْقِ تَرَى التَّصْوِيرَ وَالتَّغْيِيرَ لِلْعِلَّةِ الَّتِي فِيهَا، وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّهُمْ يُجِيزُونَ عَلَى إِبْلِيسَ تَغْيِيرَ أَبْصَارِهِمْ

وَأَنْ يَظْهَرَ لَهُمْ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَا يُجِيزُونَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ خَالِقِهِمُ الَّذِي يُغَيِّرُ أَبْصَارَ الْوَرَى كَيْفَ يَشَاءُ، وَهُوَ خَالِقُ إِبْلِيسَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْخَلَائِقِ".

قُلْتُ: سَيِّدِي! يَتَصَوَّرُ الرَّبُّ كَصُوَرِ خَلْقِهِ حَتَّى يَرَوْنَهُ كَصُوَرِهِمْ؟ قَالَ: "يُغَيِّرُ أَبْصَارَ الْخَلْقِ حَتَّى تَرَاهُ كَصُوَرِهِمْ، فَيُبْصِرُونَهُ بِحَسَبِ فِعْلِهِمْ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ يَأْكُلُ وَلَا يَرَوْنَ لَهُ ظِلًّا؟".

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نَجْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَزَّ عَزُّهُ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقُلْتُ: أَتَوَهَّمُ شَيْئًا غَيْرَ مَحْدُودٍ وَلَا مَعْقُولٍ؟ فَقَالَ: "مَهْمَا وَقَعَ وَهْمُكَ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ خِلَافُهُ، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا يَتَصَوَّرُ فِي الضَّمِيرِ بِخِلَافِ مَا يَتَصَوَّرُ فِي الْأَوْهَامِ، لِأَنَّهَا لَا تَتَوَهَّمُ شَيْئًا غَيْرَ مَحْسُوسٍ وَلَا مَحْدُودٍ".

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عَزَّ عَزُّهُ أَنَّهُ سُئِلَ: أَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ اللَّهُ شَيْءٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ! تُخْرِجُهُ عَنِ الْحَدَّيْنِ: حَدِّ التَّعْطِيلِ، وَحَدِّ التَّشْبِيهِ".

وَقِيلَ لِـ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عَزُّهُ: أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ أَوِ الْأَرْضَ؟ فَقَالَ: "إِنَّ السُّؤَالَ عَنِ الْمَكَانِ، وَكَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ".

وَمِنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَحْرِيِّ، يَرْفَعُهُ إِلَى الْبَاقِرِ عَزَّ عَزُّهُ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِسَمَاعِهِ: "إِنَّا لَنَا مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةً إِذَا كُنَّا بِهَا كُنَّا هُوَ وَإِذَا أَزَالَنَا مِنْهَا، كُنَّا نَحْنُ كَمَا نَحْنُ، وَهُوَ كَمَا هُوَ".

مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْإِشَارَةَ إِلَى الظُّهُورِ وَنَفْيِ الصُّورَةِ!.

تَمَّ بِحَمْدِ مَوْلَانَا أَمِيرِ النَّحْلِ جَلَّ ذِكْرُهُ
وَتُمَّ نَقْلُهُ عَن عِدَّةِ نُسَخٍ

حجة العارف



هُوَ مِمَّا نَسَخَهُ لِخَازِنِهِ الأَمِيرِ أَبِي الحَسَنِ عَلِيّ بْنِ جَعْفَرٍ سَنَةَ (٤٠٨) هِجْرِيٍّ، فِي إِثْبَاتِ القُدْرَةِ وَنَفْيِ الصُّورَةِ، وَإِيرَادِ الأَدِلَّةِ عَلَى بَعْضِ المَوَاضِيعِ المُهِمَّةِ مِمَّا اخْتَلَفَتْ فِيهِ الفِرَقُ





